

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشاذلي بن جديد - الطارف
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

الأنساق الثقافية في رواية ليلة هروب فجرة
لأحمد زغب

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة ماستر في اللغة والأدب العربي

الميدان: اللغة والأدب العربي

الشعبة: الدراسات الأدبية

التخصص: أدب شعبي

إعداد الطالبين :

. بوسنة فتح الله

. حكيم سوداني

إشراف الأستاذ:

الدكتور : فاروق جقريف

الاسم و اللقب	الرتبة	الهيئة المستخدمة	الصفة
د عبد الوهاب بويمة	أستاذ محاضر	الشاذلي بن جديد - الطارف	رئيسا
د مولدي بشينية	أستاذ محاضر	الشاذلي بن جديد - الطارف	مناقشا
فاروق جقريف	أستاذ محاضر	الشاذلي بن جديد - الطارف	مشرفا

السنة الجامعية 2024 * 2025

شكر و عرفان

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد المتفرد بجميع نعوت الجلال والكمال، المنزه عن الشبيه والمثال، المتعالي عن الند والنظير، سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، نحمدك يا رحمان على جزيل نعمك، نشكرك شكر المعترف بهيبتك وبركاتك، ونصلي

ونسلم على صفوة أنبيائك المصطافين

قبل المضي قدما في عرض هذا البحث علينا أن نوجه الشكر الجزيل إلى عشاق اللغة العربية وآدابها الذين أحبوا الأدب بصدق، وتفانوا على خدمتها لكي لا تتلاشى وتضمحل، ذلك لأنها لغة القرآن الكريم والأسلوب البليغ، والعبارة الدقيقة، والنظم الجميل، ومن هؤلاء الذين ناضلوا من أجل رقي

الأدب العربي

نخص بالذكر الأستاذ المشرف فاروق جقريف، الذي أثار لنا درب الطريق بعد ما كان مظلماً، وذلك بتقديم نصائح وإرشادات قيمة، ساعدتنا كثيراً في إتمام بحثنا فلك منا يا أستاذنا الكريم أجمل العبارات وفائق

التحيات، وأعذب الكلمات وتقبل منا هذه الأبيات الشعرية،

كاعتراف وتقدير:

خير أجر يعطي وأوفى جزاء** وجمال أعلى، وكل المعاني .

تبعث النور كالشهاب المعلى** والحياة العليا، وخير الأماني.

الأستاذ يمدُّ الأبناء في كل جيل** من كريم الآداب، ولغة القرآن

إهداء

﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾

[سورة التوبة: 105]

إلى من أنبتوا الحرف في أرض الفكرة، وسقوه من ماء الحكمة،
إلى من كان الحضور معهم ضوءاً، والغرس علماً، والثمر وعياً

إلى عائلتي الكريمة،
جذوري التي امتدت في الأرض فأثمرت طموحاً،
ودعاؤكم سرّ فيضٍ من التوفيق... شكراً لا تكفيه الكلمات

إلى زوجتي الحبيبة،
يا من كنت لي وطناً حين ضاقت الدنيا،
وصوتك يهمس في أذني: "أنت تستطيع،
لك وحدك هذا الإنجاز كما لي، إن لم يكن أكثر

إلى صغيرتي لجين وملاك،
يا قمرين في سماء عمري،
كل صفحة من هذه المذكرة تحمل شيئاً من ضحكتكما،
وكل سطر فيها كتب بين نظرة حب وحنين إليكما

إلى أستاذي المشرف، من حمل مشعل التوجيه بنبل،
وآمن بي حين كانت الخطوة الأولى مرتجفة،
لك في قلبي امتنان لا يبلغه الحرف،
فأنت الدليل حين اشتد الغموض، والنبراس في ليل السؤال

إلى أساتذتي الكرام،
من غرسوا في عقلي بذور المعرفة، وفي قلبي توق الباحث،
كل حرف تعلمته منكم، لبنة في صرح هذا العمل

وإلى أصدقائي الذين شاركوني السهر، وتقاسموا معي وجع البحث،
كنتم البلسم حين أرهقني الدرب، فلکم خالص المحبة
إلى صديقي العزيز وأخي حكيم
هذا الإهداء... رسالة وفاء، لكل من كان نوراً في طريقي

بوستة فتح الله

إهداء

إلى من كانت ولا تزال نبع الحنان، وسند الروح في دروب الحياة،
إلى أمي الغالية خضرة، أطل الله في عمرك وامتعتك بالصحة والعافية،
وإلى والدي الحبيب أحمد، من غرس في القيم والمبادئ
إلى زوجتي العزيزة زينب، رفيقة الدرب والمُلهمَة في كل لحظة
إلى إخوتي الراحلين نادية، نجاه، ولخضر،
رحمكم الله وأسكنكم فسيح جناته، ستظلون في القلب دائماً
إلى إخوتي الأحباء الطاهر، فاطمة، وصبرينة،
أنتم الضوء الذي يبّدد العثرات

إلى ابن أخي العزيز علي، ووالدته الطيبة صورية
إلى كل أفراد عائلتي: سوداني وهميسي،
وإلى كل الأحبة والأوفياء الذين ساندوني بكلمة، بدعاء، بابتسامة

إلى مشرفي الكريم الأستاذ فاروق جقريف،
شكراً لصبرك وتوجيهك، ودعمك العلمي والإنساني
وإلى أساتذة الجامعة الأفاضل،
الذين لم يبخلوا بعلمهم ونصحهم، فكانوا مشاعل على طريق المعرفة
أهديكم هذا العمل المتواضع عربون حب ووفاء،
فلکم في قلبي مودة لا توصف، وفضل لا يُنسى
إلى صديقي العزيز وأخي فتح الله

حكيم سوداني

مقدمة

مقدمة :

يمثل الأدب مرآة عاكسة لواقع المجتمع، تتجلى من خلال تمثلاته الثقافية والاجتماعية والسياسية، كما يكشف عن البنى العميقة التي تشكل وعي الأفراد والجماعات، ومن هذا المنطلق، تحتل دراسة الأنساق الثقافية موقعا مركزيا في النقد الثقافي، بوصفها مدخلا لفهم العلاقات المضمره التي تربط النصوص الأدبية بسياقاتها التاريخية والاجتماعية، والنسق الثقافي لا يظهر بالضرورة في شكل مباشر، بل يتخفى خلف البنية السردية واللغوية، ويتموضع في المسكوت عنه والمهمش والمقصي، وتندرج رواية ليلة هروب فجرة للكاتب الجزائري أحمد زغب ضمن هذا الإطار، إذ تتعدى كونها سردًا لوقائع وأحداث إلى كونها نصا محملاً بإيحاءات ثقافية عميقة تستدعي التأويل والتحليل، فهي تتناول تجربة إنسانية قائمة على الصراع بين الذات والسلطة، وبين التقاليد والتحويلات وبين الانتماء والارتحال ما يجعل منها أرضية خصبة للكشف عن الأنساق الثقافية المضمره التي تشكل بنية المجتمع المحلي وتمثلاته للهوية والسلطة والجنس والدين، وعلى هذا الأساس وقع اختيارنا عليها، فكانت أنموذجا حيا للدراسة وفق النقد الثقافي، فكان عنوان بحثنا: الأنساق الثقافية في رواية ليلة هروب فجرة " لأحمد زغب" فقد عرفتنا الرواية على إبداعات الكاتب "أحمد زغب"، وأنارت طريقنا للولوج لعالمه الروائي فدراستنا للرواية تهدف إلى استكشاف الأنساق الثقافية فيها، وذلك من خلال تحليل تمثلاتها المختلفة في الخطاب السردية، والكشف عن آليات اشتغالها داخل النص، فضلاً عن تتبع علاقتها بالبنى الاجتماعية والمرجعيات الثقافية المهيمنة. وللبحث إشكالية مركزية فرضت نفسها من خلال تمظهرات الموضوع بأنساقه الظاهرة والمضمره، ومن هذا المنطلق يطرح التساؤل

المركزي الآتي: كيف تتجلى الأنساق الثقافية في رواية (ليلة هروب فجرة) لأحمد زغب؟

أو ماهي الدلالات التي تُحيل إليها داخل البنية السردية؟

ويتفرع عن هذا التساؤل الرئيسي مجموعة من الأسئلة الفرعية:

- ما النسق؟ وما طبيعة الأنساق الثقافية المضمرة في الرواية؟

- كيف تشكل هذه الأنساق تمثلات الشخصيات والأحداث والفضاء؟

- إلى أي مدى تمكن الكاتب من تفكيك هذه الأنساق أو إعادة إنتاجها؟

- ما علاقة هذه الأنساق الثقافية بالسياق الاجتماعي والثقافي الجزائري؟

- ما الأنساق الثقافية المضمرة داخل الرواية؟ وكيف تجلت داخلها؟

وللإجابة عن هذه الإشكاليات المطروحة، رسمنا الخطة التالية، التي تضمنت مقدمة، يليها فصلين

وخاتمة، وقد جرى تفصيلها كالآتي:

- مقدمة: التي تمثل الواجهة الأساسية للبحث.

- الفصل الأول: تطرقنا فيه إلى قراءة مفاهيمية للأنساق الثقافية، حيث قمنا بتعريف النسق الثقافي

لغة واصطلاحًا، وتحديد أنواعه وخصائصه وشروطه داخل النص الأدبي، وإرهاصاته الأولى عند

الغرب ثم عند العرب، ثم عرجنا إلى إشكالية مصطلح الرواية، فقمنا بتعريف الرواية لغة واصطلاحًا،

وتبيان خصائصها، ونشأتها وتفاعلها مع الأنساق الثقافية.

- الفصل الثاني: تطرقنا فيه إلى دراسة الأنساق الثقافية داخل رواية ليلة هروب فجرة لأحمد زغب

مع بيان تجلياتها، والكشف عن آليات اشتغالها داخل الرواية، وأنهينا بحثنا بخاتمة، التي تضمنت أهم

النتائج المتوصل إليها، ثم فهرسة لقائمة المصادر والمراجع التي ارتكنا عليها في معالجتنا لموضوع البحث كما قمنا بتدعيم البحث بملحق، وملخص عام للبحث باللغتين العربية والإنجليزية.

ونظرا لطبيعة الإشكالية التي يدور حولها البحث، فقد اعتمدنا على منهج (النقد الثقافي) كأداة رئيسية لتحليل رواية (ليلة هروب فجرة)، بوصفه منهجا يتجاوز القراءة الجمالية للنصوص، نحو الكشف عن المضمرة والمسكوت عنه، وتحليل الأنساق الثقافية التي تشكل البنية العميقة للخطاب الأدبي، ويتعامل النقد الثقافي مع النصوص بوصفها فضاء للصراع بين القوى الثقافية، بما في ذلك أنساق الهيمنة والخضوع، والهوية والآخر، والسلطة والمقاومة، والرفض والولاء.

كما وظفنا بعضا من المناهج المكتملة لمنهج النقد الثقافي كالمنهج الوصفي التحليلي، وذلك بغية الكشف على الأنساق الكامنة في ثنايا الرواية، كما يساعدنا على تحليلها، وفهم تجلياتها داخل النص الروائي، كما وظفنا المنهج الأنثروبولوجي المناسب لفهم سلوك الإنسان في سياق مجتمعه وثقافته، واعتمدنا في إنجاز هذا البحث على جملة من المصادر والمراجع نذكر منها:

- أحمد زغب، رواية (ليلة هروب فجرة).
- عبد الله الغدامي، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية.
- حفناوي بوعلي، مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن.
- عبد الحميد بورايو، الرواية الشفوية في الجزائر.
- واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر.

ومن العوائق والصعوبات التي اعترضت سبيل بحثنا، نذكر عامل ضيق الوقت، ناهيك عن ظروف العمل، خاصة تزامن فترة إنجاز المذكرة وإعداد نماذج اختبارات تقييم المكتسبات إضافة إلى اختبارات الفصل الثالث.

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نتقدم بخالص وأسمى عبارات الشكر والامتنان، للدكتور **فاروق جغريف** على توجيهاته، والنصائح القيمة التي قدمها لنا طيلة إشرافه على بحثنا، كما نشكر كل أستاذ من أساتذة الجامعة أفاد بعلمه، وأثار درب الطريق لنا، من بداية مشوارنا الدراسي، كما نشكر كل من مدَّ لنا يد العون من قريب أو من بعيد، كما لا يفوتنا أن نتقدم بخالص تشكراتنا إلى أعضاء لجنة المناقشة، الذين قبلوا مناقشة مذكرة تخرجنا، وعلى ما بذلوه من جهد ووقت في سبيل تقييمها، ونسأل الله العلي القدير، أن نكون قد وفقنا في إتمام هذا العمل ويوفقنا وكل طالب علم إلى ما يحب ويرضى، إنه نعم المولى ونعم النصير، ويجعل الله تعالى عملنا هذا خالصا لوجهه الكريم.

الفصل الأول

الدراسة النظرية

I - الأنساق الثقافية قراءة مفاهيمية.

II - الرواية وإشكالية المصطلح.

I. الأنساق الثقافية قراءة مفاهيمية:

1- مفهوم النسق:

أ - لغة : لقد أصبح مصطلح النسق من أهم المصطلحات في الدراسات الأدبية والنقدية، وإذا أردنا الرجوع إلى أصوله اللغوية، فإن " النسق من كل شيء ما كان على طريقة نظام واحد عام في الأشياء، وقد انتسقت هذه الأشياء ببعضها أي تنسقت، ويقال : " نَاسَقَ بين أمرين أي تابع بينهما ، والنسق : ما جاء من الكلام على نظام واحد"¹ ، وفي حديث عمر - رضي الله عنه - أنه قال : " ناسقوا بين الحج والعمرة"² ومعنى ناسقوا تابعوا، وجاء في معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، أن " النسق من كل شيء ما كان على نظام واحد عام في الأشياء، وَنَسَقْتُه نَسَقًا وَنَسَقْتُه تَنَسِيقًا، ونقول: انتسقت هذه الأشياء بعضها إلى بعض أي تَنَسَقْتُ"³، ويظهر من التعريفين السابقين أن النسق هو انتظام الشيء وفق طريقة واحدة وقد وَرَدَ توضيح مدلول الجذر اللغوي. (نسق) في معجم المقاييس لأبي الحسين أحمد بن فارس، فيقول: " النون والسّين والقاف أصل صحيح يدل على تتابع في الشيء، و كلام نسق : جاء على نظام واحد قد عطف بعضه على بعض، وأصله قولهم: " ثغر نسق، إذا كانت الأسنان متناسقة متساوية"⁴، ويتبين لنا من التعريفات السابقة أن النسق يدل على ترتيب الأشياء وفق نظام معين مترابط فيما بينه، ووفق طريقة واحدة.

1 ابن منظور، لسان العرب، تحقيق جمال الدين مكرم، دار صادر، بيروت، لبنان، سنة 1989، مج 6، ص 179 .

2 المرجع نفسه ،مج1، ص537

3 الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1 سنة 2003، مج 4، ص 218

4 أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة تحقيق، عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، لبنان، ط 2 سنة 1985، ص 420

ب - اصطلاحاً :

النسق هو مجموعة من الأجزاء تكون متماسكة ومترابطة ارتباطاً، ومتكاملة حركياً ومتكافئة وظيفياً ومتناغمة إيقاعياً، فالنسق " يتنفس ويحيا وجودياً ووظيفياً من خلال تكامل وظائف أجزائه المترابطة. والنسق معناه في الأدب الشعبي يشير إلى البنى الثقافية والتاريخية التي تشكل نظام التفكير، والعادات والتقاليد في المجتمعات الشعبية"¹، وقد عرف " تالكوت بارسونز" النسق بأنه: "نظام ينطوي على أفراد مفتعلين تتحدد علاقاتهم بعواطفهم وأدوارهم التي تنبع من الرموز المشتركة والمقررة ثقافياً في إطار هذا النسق وعلى نحو يغدو معه مفهوم النسق أوسع من مفهوم البناء الاجتماعي"². و مصطلح النسق يعتبر من المصطلحات الجديدة التي ظهرت في الدراسات الأدبية النقدية في الآونة الأخيرة، وإن هذا المصطلح لم يكن له قبول أو شهرة في بداياته، ولكن سرعان ما ذاع صيته بعد أن لاح نجم النقد الثقافي في الأفق، و نجد " النسق قد أصبح الركن الأساس الذي يستعمله النقد الثقافي في عمليات البحث عن مكونات النصوص الأدبية"³. وقد استخدم عالم اللسانيات فيرناند دي سوسير النسق في تعريفه للغة بقوله: " اللغة عبارة عن نسق من العلامات يعبر عن الأفكار، ولهذا فهي مشابهة لنسق الكتابة، وأبجدية الصم والشعائر الرمزية، وصيغ المجاملة والإشارات العسكرية، ولكنها أعظم أهمية من الأنساق"⁴. فاللغة في تصور دي سوسير هي منظومة من العلامات تعبر عن فكرة ما، كما أنها " نسق لا يعرف إلا طبيعته نظامه الخاص

1 بنكراد سعيد، سيميائيات النص، الدار البيضاء، دار توبقال، المغرب الأقصى، ط 2، 2007م، ص 88

2 إديث كرزويل، عصر البنيوية، ترجمة جابر عصفور، بيروت لبنان، ط 1، 1993م، ص 411

3 جاسم حميد جودة الطائي، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، الأنساق الثقافية في أدب بلاد الرافدين، العراق، العدد 4، 2015، ص 1798

4 المرجع نفسه، ص 1798

وهي ليست سوى نسق سيميائي، يقوم على اعتباطية العلامات، ولا قيمة للأجزاء إلا ضمن الكل¹، وعليه فسوسير أدخل ضمن اللغة فكرة النسق والتي يقصد بها " تلك العناصر اللسانية التي تكتسب قيمتها بعلاقتها فيما بينها ببعضها البعض"²، أما البنيويون فقد ربطوا مفهوم النسق بمفهوم البنية لأنهم " وجدوا أن الجمع والتأليف بين الوحدات اللغوية شبيهة بفعل البناء"³، فهم بالتالي يرون أن الدور الذي يقوم به النسق هو نفس الدور الذي تقوم به البنية، والمتمثل في الجمع والتنظيم بين الوحدات اللغوية، أما نعمان بوقرة فقد عرف النسق قائلاً: " هو ما يتولد من تدرج الجزئيات في سياق ما، أو ما يتولد عن حركة العلاقة بين العناصر المكونة للبنية، إلا أن لهذه الحركة نظاماً معيناً يمكن ملاحظته وكشفه"⁴.

فلاحظ أن نعمان بوقرة شابه بين النسق والبنية، وذلك في عملية تتابع الأجزاء الصغرى للكلمات، والعلاقة الموجودة بين العناصر المكونة للبنية، وكذلك في الخضوع لنظام معين، من خلال هذه المفاهيم المتعددة لمصطلح " النسق " نلاحظ تكرار ثلاث مصطلحات أساسية ورئيسية في مجال اللسانيات وتحليل الخطاب والنقد ألا وهي: (النسق ، البنية ، النظام)، وعلى الرغم من الاختلاف اللغوي لهذه لمصطلحات إلا أنها تحمل في طياتها مدلولاً متقارباً.

1 أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، 2002، ص43

2 أحمد عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، د. ط، ص184

3 أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 95 .

4 نعمان بوقرة ، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، دراسة معجمية، دار الكتاب العالمي، عمان، الأردن، ط 1، 2009، ص 140

2 مفهوم الثقافة

أ - لغة: الثقافة في اللغة تأتي من الجذر "ثَقَّفَ"، الذي يعني الفهم أو الإدراك السليم، وقد وردَ في لسان العرب في فصل الناء المثلثة لفظة: "ثَقَّفَ" : "ثقف الشيء ثقفاً وثقافاً، ثقوفة أي حذقة، ورجل ثقف أي حاذق : وفهم، ويقال : ثَقَّفَ الشيء أي سريع التعليم، وفي حديث الهجرة وهو غلامٌ ثَقِفٌ أي ذو فطنة وذكاء، والمراد أنه ثابت المعرفة بما يحتاج إليه"¹.

كما ورد في القاموس المحيط للفيروز آبادي في باب الفاء، فصل الناء لفظة "ثقف ككرم وفرح، وثَقَّفَ ثقافة أي: صار حاذقاً وفطناً"². من خلال هذه التعاريف اللغوية لمفهوم الثقافة، نرى أن مفهومها اللغوي لا يخرج عن العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحذق فيها.

ب - اصطلاحاً : لقد حاول الكثير من علماء الاجتماع منذ القرن الماضي، وما زالوا يحاولون الوصول إلى تعريف أو تحديد لمفهوم الثقافة، ولعل من أقدم التعريفات للثقافة، وأكثرها شيوعاً حتى الآن هو تعريف " إدوارد تايلور" الذي قدمه في كتابه **عن الثقافة البدائية**، والذي يقول فيه عن الثقافة بأنها: " كل مركب يشمل على كل المعرفة والمعتقدات، والفنون والأخلاق والقانون والعرف، وغير ذلك من الإمكانيات أو العادات التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضواً في المجتمع"³.

1 ابن منظور، لسان العرب ، مج 9 ، ص 19

2 مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، باب الناء، مكتبة تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 8 2005م، ج 3، ص 162

3 ميكيل تومسون، نظرية الثقافة، ترجمة علي سيد الصاري، عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1997، ص 9

ويعرف الناقد الثقافي الإنجليزي "ماثيو أرنولد" الثقافة في كتابه (الثقافة والفوضى) بقوله: " الثقافة هي دراسة الكمال وبناء تصور عن الكمال الإنساني الحقيقي في صورته المنسجمة، وتطوير جميع جوانب إنسانيتنا، وبشكل عام فالكمال هو تطوير جميع مكونات مجتمعنا"¹.

من خلال التعريفات السابقة نجد أن الثقافة هي مجموعة من المعارف، والقيم والمعتقدات، والممارسات والعادات والتقاليد التي يكتسبها أفراد مجتمع ما عبر الزمن، والثقافة تشمل جوانب الحياة الاجتماعية والفنية والدينية، وهي تختلف من منطقة إلى أخرى حسب عادات وتقاليد كل منطقة، كما أن الثقافة تعد وسيلة للتواصل والتفاعل بين الأفراد، كما تتشكل عبر التفاعل الاجتماعي والتاريخي بين الناس، فهي بالتالي تمثل هوية المجتمع ونمط حياة الناس، فلا يمكن تصور مجتمع بدون ثقافة، فهي نتاج رموز وأفكار، وليست معطى ثابتا بل تتغير.

3 مفهوم الأنساق الثقافية :

من خلال تعريفنا للنسق والثقافة لغة واصطلاحاً، يمكننا تقديم تعريف أو مفهوم مفصل للأنساق الثقافية، فهي تمثل مجموعة القيم والمعتقدات والمعايير التي تحكم رؤية المجتمع للعالم ، وتنظم تفاعلاته الاجتماعية، ويعرفها (عبد الله الغدامي) في كتابه (النقد الثقافي) على أنها " القيم المضمرة في النصوص التي تعكس الهياكل الاجتماعية والثقافية المسيطرة"².

1 ماثيو أرنولد، الثقافة والفوضى، مطبعة جامعة كامبريدج ، لندن - بريطانيا العظمى، د.ط , 1932 م ، ص 11

2 عبد الله الغدامي، النقد الثقافي ، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، بيروت، لبنان، المركز الثقافي العربي، 1992 م ، ص 43.

ويبين الغدامي أن " النسق الثقافي يقوم على وظيفة الدلالة النسقية التي ترتبط بعلاقات متشابهة نشأت مع الزمن لتتحول إلى عنصر ثقافي آخر في الشكل، وهو أحياناً إما أن يكون ظاهراً وإما أن يكون كامناً غير أن أهم ما يميز النسق الثقافي ما ينهض به من وظيفة، ولكن ليس من حيث وجوده المجرد"¹.

والنسق الثقافي هو " ذو طبيعة سردية، تتحرك في حبكة متقنة، ولذا فهو خفي ومضمر وقادر على الاختفاء دائماً ... وعبر البلاغة وجمالياتها تمر الأنساق آمنة مطمئنة من تحت هذه المظلة وتعتبر العقول والأزمنة فاعلة ومؤثرة فيها"²، والأنساق الثقافية "هي أنساق تاريخية أزلية وراسخة وعلاماتها هي اندفاع الجمهور إلى استهلاك المنتج المنطوي على هذه الأنساق"³.

ويشير عبد الله الغدامي إلى أهمية النسق الثقافي من أجل إبراز النسق المضمر الذي يتضمنه الخطاب الأدبي " فالنسق عموماً هو انتظام بنيوي يتناغم وينسجم فيما بينه، ليولد نسق أعم وأشمل، وعلى سبيل المثال يوصف المجتمع بأنه نسق اجتماعي عام، ينتج عنه مجموعة أنساق فرعية انتظمت معه، وشكلته فتولد عنه نسق سياسي وآخر اقتصادي علمي ثقافي تنسج علاقتهما فيما بينهما في مسافات متفاعلة ومتداخلة"⁴.

1 رامي أبو شهاب، مفهوم النسق الثقافي، الممارسة والمظاهر و التشخيص النقدي، مجلة القدس العربي، دمشق سوريا، 5 يوليو 2016، ص 75

2 عبد الله الغدامي، النقد الثقافي، ص 79

3 المرجع نفسه، ص 79

4 محمد مفتاح' التشابه والاختلاف المركز الثقافي العربي، بيروت - لبنان ' د.ط ' ، 1996 م ، ص 156- 157

وإذا أردنا تعريف الأنساق الثقافية في الرواية، فهي تشير إلى العناصر الثقافية المختلفة التي يتم التعبير عنها من خلال الكتابات القصصية، ويتضمن هذا التعبير: التعبير عن الهوية، والعادات والتقاليد، والقيم الاجتماعية والوجدانية، والتي تشكل جزءاً من الثقافة الشعبية في المجتمع، وبالتالي هنا نلمس ارتباط مفهوم النسق بالثقافات الإنسانية، وما ينجم عنه من تقاطعات في عادات وتقاليد، وتاريخ وفلسفة الشعوب والأمم، فهو " وليدها في أي مجتمع من المجتمعات، حيث ينمو داخلها ويشرب من ينابيعها المختلفة من خلال روافد مختلفة"¹.

من خلال التعريفات السابقة، نجد أن الأنساق الثقافية هي مجموعة من القيم والمعتقدات والمعايير التي تنظم السلوك الاجتماعي في مجتمع معين، وتشمل هذه الأنظمة الثقافية المعارف واللغة، والعادات والتقاليد والممارسات الاجتماعية، والأدوات والفنون، والمعتقدات الدينية، وغيرها من العناصر التي تحدد هوية المجتمع وتؤثر في تصرفات أفراده وتعتبر الأنساق الثقافية إطاراً تنظيمياً يساعد الأفراد على فهم العالم من حولهم، وتوجيه تصرفاتهم وفقاً للموروثات الثقافية التي تشبعهم، ويمكن أن تكون هذه الأنظمة مرنة ومتغيرة أو ثابتة، وقد تختلف من مجتمع إلى آخر.

كما أن الأنساق الثقافية تعد بمثابة هيكل فكري واجتماعي يساهم في فهم وتفسير السلوكيات والأفعال الإنسانية في سياق ثقافي معين، ويتم دراسة هذه الأنساق لفهم كيف تؤثر الثقافة في بناء الأفراد والجماعات، وكيف تتشكل التفاعلات بين الأفراد داخل المجتمع.

1 فاطمة قيدوش، حنان بومالي، الأنساق الثقافية في قصة « أفعى جريح » لغادة السمان، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، جامعة تامنغست، مجلد 9، عدد 2020م، ص 123

4. سمات و خصائص الأنساق الثقافية :

يشكل النسق الثقافي مفهوماً مركباً عند عبد الله الغدامي، وذلك لمشروعه الموسوم بـ (نظرية النقد الثقافي)، كما أنه يكتسب عنده قيماً دلالية، وسمات اصطلاحية خاصة، وطرح هنا أسئلة ثلاثة هي :

" ما هو النسق الثقافي؟ وكيف نقرؤه؟ وكيف نميزه عن سائر الأنساق؟" ¹.

تتمحور إجابة الناقد، في سبع نقاط كما يلي:

- 1 - "يتحدد النسق عبر وظيفته، وليس عبر وجوده المجرد، ويتحدث عن موصفات الوظيفة النسقية، فيرى أنها لا تحدث إلا في وضع محدد ومقيد، ومن مواصفات الوظيفة النسقية أنها تحدث عندما يوجد :
 - أ - نسقان يحدثان معا في آن واحد.
 - ب - يكون المضمرة منهما نقيضا ومضادا للظاهر.
 - ج - أن يكون النص جميلا.
 - د - أن يكون النص جماهيريا ².
- 2 - "النسق نظام بنيوي؛ إذ له بنية متكاملة وشاملة داخل الخطاب الثقافي وهذا النظام له وجهان أحدهما ظاهر، والآخر مضمرة.
- 3 - تظهر الوظيفة النسقية في النص الجمالي خاصة مثل: الشعر، والقصة كما تظهر أيضا في النصوص غير الجمالية.
- 4 - الدلالة النسقية المضمرة والمختبئة، موجودة دائمة ومستمرة ولها سمة القوة.
- 5 - تتميز الوظيفة النسقية بصفة القوة الرمزية، و تقوم بدور المحرك الفاعل في الذهن الثقافي ³.

1 عبد الله الغدامي ، قراءة في الأنساق الثقافية العربية ، ص 77

2 المرجع نفسه ، ص 78

3 المرجع نفسه ، ص 79

6- " تعتبر الأنساق الثقافية المضمره هي أساس النقد الثقافي، مهما كانت قراءات المثقف في تحليل الأنساق الثقافية انطلاقاً من مرجعيات نظرية إلا أنهم لا يملكون القدرة على إلغاء هذه الأنساق، لأنها متجذرة في الذهنية والفكر منذ القديم.

7- إن وجود نسقين متعارضين في نص واحد، إذ هنا لا نعني (النص) بمعناه الأول، وإنما المقصود هو الخطاب، أي نظام التعبير والإفصاح سواء كان في نص مفرد أو نص طويل مركب أو ملحمي¹.
وبما أن الأنساق الثقافية تشير إلى مجموعة من الأنماط والعادات والقيم والمعتقدات، والتي تشكل ثقافة مجتمع معين، فهناك خصائص وسمات أخرى للأنساق الثقافية يمكن إيجازها فيما يلي:

- الرمزية، حيث تستخدم الأنساق الثقافية الرموز للتعبير عن الأفكار والمعتقدات وهذه الرموز قد تكون لغوية أو غير لغوية مثل: الملابس، الألوان الطقوس.

- التلقائية والخفاء: فالأنساق الثقافية تعمل بطريقة غير مباشرة حيث لا يدرك الأفراد تأثيرها بشكل واضح عليهم، لكنها تحدد تصوراتهم عن العالم، وتنظم سلوكياتهم ووفقاً لبيري بورديو، فالأنساق الثقافية تمارس تأثيرها في الخفاء بحيث تبدو وكأنها طبيعية لكنها في الواقع مبنية اجتماعياً .

- الاستمرارية: فالأنساق الثقافية تشكل عبر الزمن من خلال تراكم التجارب والقيم، حيث يتم نقلها من جيل إلى آخر عبر الحكايات، والأساطير، والعادات والتقاليد²، وتلعب الأنساق الثقافية دوراً جوهرياً في تشكيل هوية الأفراد والمجتمعات، حيث تحدد مواقفهم تجاه القضايا المختلفة مثل: الدين، العادات، والجنس.³

1 عبد الله الغدامي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ص 80 .

2 بورديو بيير الهيمنة الرمزية، ترجمة نظير جاهل، بيروت - لبنان - المركز الثقافي العربي، 1994م، ص 88 .

3 المرجع نفسه، ص 89 .

وخلاصة القول نجد أن الأنساق الثقافية ليست مجرد مكونات ثابتة في المجتمع، بل هي أنظمة ديناميكية تتغير، وتتفاعل مع التطورات المختلفة، وفي الأدب الشعبي تظهر هذه الأنساق بطرق رمزية، مما يجعلها أداة مهمة لفهم الثقافة المجتمعية العميقة.

5 شروط الأنساق الثقافية:

- للنسق الثقافي عدة شروط يجب توفرها كي يتحقق مفهومه داخل النص، ومن هذه الشروط نذكر:
- أنه يتطلب وجود نسقين معا في آن واحد، وفي نص واحد، وأن يكون "أحدهما مضمرا والآخر ظاهرا ويكون المضمرة ناسخا للظاهر، ولو حدث وصار المضمرة غير متناقض للعلن، فيخرج النص عن مجال النقد الثقافي"¹.
 - لا بد أن يكون النص ذا قبول جماهيري، ويحظى بمقروئية عريضة وذلك لكي نرى ما للأنساق من فعل عمومي ضارب في الذهن الاجتماعي، ويتحقق هذا الشرط: "بأن كل دلالة نسقية تكون مختبئة في الثقافة"². تحت غطاء جمالي، ومتوسمة بهذا الغطاء لتغرس ما هو غير جمالي .
 - النسق المضمرة مكون أساسي لا بديل عنه في النقد الثقافي، "وضموره يستوجب توفر كل الشروط السابقة لتحقيق المفهوم النسقي المضمرة داخل النص"³.
 - ينبغي لكل نسق، حسب نظرية، بارسونز "أن يفي بأربعة متطلبات إذا كان يريد البقاء والتكيف داخل النص، وتتمثل هذه المتطلبات في: "إن كل نسق لا بد أن يتأقلم مع بيئته .

1 عبد الله الغدامي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ص 95

2 المرجع نفسه، ص 147 .

3 المرجع نفسه، ص 148 .

- التكامل، أي كل نسق يجب أن يحافظ على الالتزام، والانسجام بين المحافظة على وحدته وتماسكه .
- المحافظة على النمط أي كل نسق أن يحافظ بقدر الإمكان على التوازن فيه (التوازن داخل النمط).
- تحقيق الهدف، حيث لا بد لكل نسق من أدوات يحرك بها مصادره كما يحقق أهدافه، وبالتالي يصل لدرجة الإشباع¹ .

وعليه فالأنساق الثقافية ليست مجرد أفكار أو معتقدات، بل هي أنظمة متكاملة تحتاج إلى هذه الشروط، لتكون فعّالة ومؤثرة في حياة الأفراد والمجتمعات.

وفي الرواية تتجسد هذه الأنساق بطرق متعددة مما يجعلها أداة أساسية في فهم الثقافة وتطورها، وليس هذا فحسب فهذه الشروط السالفة الذكر تجعل من الرواية أداة فعّالة لنقل الثقافة والهوية الشعبية عبر الأجيال .

بالتالي فالرواية تسهم في توثيق التاريخ الاجتماعي والإنساني، وتظل مرجعاً مهماً لفهم طبيعة العلاقات الإنسانية والاجتماعية.

1 عبد الله الغدامي ، عبد النبي اصطيف ، نقد ثقافي أم نقد أدبي ، ط 1 ، 2016 ، دار البيضاء - المغرب - ص 147

6 - أنواع الأنساق الثقافية :

للسق الثقافي مظهران في النصوص الثقافية هما: النسق الظاهر المعلن، والآخر النسق المضمّر الخفي، وهذان النسقان متلازمان داخل النصوص الثقافية، لا يكاد أحدهما يفارق الآخر، بل يتعارضان ويتناقضان ويتجادلان داخل النص الثقافي، والوظيفة النسقية لا تحدث داخل النص الثقافي إلا عندما "يتعارض نسقان من أنساق الخطاب أحدهما ظاهر والآخر مضمّر، ويكون المضمّر ناقصًا وناسخًا للظاهر"¹، وعليه فالأنساق الثقافية تظهر في النصوص الثقافية على شكل نوعين من الأنساق، والتي تتمثل في:

أ- النسق الظاهر: النسق الظاهر هو رفيق النسق المضمّر، ونقيضه في آن واحد، فهو يلازمه ولا ينفك عنه، " فالنسق الظاهر يعلن عنه، ويتجلى في سطح النص وفي معانيه وأبنيته، في حين يعمل النسق المضمّر على الاختفاء والتوازي والانزواء في أعماق النص"².

ونخلص إلى أن النسق الظاهر يعد وسيلة للكشف عن النسق المضمّر المتوارى خلفه، كما أن إستراتيجية النسق الظاهر تكمن في تأسيسه على الوعي بالبعد الثقافي، إضافة إلى البعد الجمالي داخل النص، لأن القراءة الأدبية تغفل بحكم طبيعتها عن المضمّرات النسقية للثقافة، بحيث أن المعنى يتحدد دائما عبر وظيفة المصطلح وذلك بتوظيف الأداة النقدية توظيفا مغايرا لما كانت عليه من قبل، بحيث هذا التوظيف أو الاستبدال يجب أن يمس الأداة والموضوع .

1 عبد الله الغدامي، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ص 76

2 شوكت الربيعي، الفن التشكيلي المعاصر في الوطن العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر ، ط1، 1985 م، ص 53.

ب - النسق المضمّر :

يأتي مفهوم النسق المضمّر في نظرية النقد الثقافي بوصفه مفهوماً مركزياً، والنسق المضمّر كما تشير المعاجم اللغوية ترتبط دلالاته اللغوية بالإضمار والإخفاء، فقد جاء في معجم مقاييس اللغة بأن : " ضَمَرَ الضاد والميم والراء أصلان صحيحان، أحدهما يدل على الدقة في الشيء، والآخر يدل على غيبة وتستتر"¹. والمضمّر في لسان العرب من " تَضَمَّرَ وجهه: انضمت جلده من الهزال، والضمير السر وداخل خاطر والجمع ضمائر... الضمير هو الشيء الذي تضمّره في قلبك، نقول: أضمرت صرف الحرف إذا كان متحركاً فأسكنته، وأضمرته في نفسي شيء، أي أخفيته."² والإضمار كما يرى الفيلسوف المغربي " طه عبد الرحمان": " مصطلح وضع للتعبير عن عدم التصريح المتعلق بالدليل، وما يعنيه ذلك هو أن هناك دليلاً خفياً متعلقاً بالمضمّر أو هو الذي يدل على وجود المضمّر وفحواه"³.

أما النسق المضمّر في الاصطلاح فهو " نظام يكمن خلف النص الجمالي، يكشف عن ترسبات ثقافية تكسبت مع تاريخ ولغة مجتمع ما، فهو يحمل أفكاراً وتصورات لها صفة الهيمنة في ذلك المجتمع"⁴.

من خلال التعاريف السابقة نجد أن النسق المضمّر يشير إلى البنى والمعاني المخفية أو غير المباشرة التي يعبر عنها النص النثري أو الشعري دون أن تكون ظاهرة أو صريحة.

1 أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحليل وضبط عبد السلام محمد هارون، ج3، باب الضاد والميم، ص 371

2 ابن منظور، لسان العرب، ج 4 ، فصل الضاد ، ص492

3 أحمد عيسى عبيد المعموري، نهج البلاغة جمعاً وتحقيقا في ضوء النقد الثقافي ، المركز الثقافي للطباعة والنشر، بابل - العراق - 2014 م ، ص 15

4 ناديه أيوب عيسى، الأنساق المضمّرة في رسوم كاظم من منظور النقد الثقافي، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، مج 27، عدد 2 ، بابل - العراق - 2019 م، ص 277

7 الأنساق الثقافية عند الغرب:

ظهرت الدراسات الثقافية عند الغرب منذ القرن 19 م، أو "ربما قبل هذه الفترة بكثير في ظل العلوم الإنسانية، وذلك مع انبثاق الثورة الصناعية"¹. وقد انتشرت الدراسات الثقافية بشكل متميز في الغرب منذ سنة 1964م، وذلك مع تأسيس مركز برلمنغهام للدراسات الثقافية المعاصرة، و بروز مدرسه فرانكفورت في الأبحاث الثقافية ذات الطابع النقدي والسوسيولوجي، لتنتشر الدراسات الثقافية بشكل موسع في سنوات التسعين في مجالات عديدة، بعد أن استفادت من البنيوية وما بعد البنيوية، وتشكلت على صداها نظريات ومذاهب وتيارات ومدارس واتجاهات، ومناهج نقدية وأدبية وظهرت في الغرب مجموعة من الدراسات الثقافية لدى رولان بارت وميشل فوكو وجيسي سبنفاك وغيرهم كثير، ويعني هذا أن "مدرسة برلمنغهام الإنجليزية، ومدرسة فرانكفورت الألمانية هما من المدارس التي ساهمت في إغناء الدراسات الثقافية فكانت النظرية النقدية تنظر إلى النقد الأدبي على أن من بين وظائفه الرئيسية هي التصدي لمختلف الأشكال اللامعقولة التي حاولت المصالح الطبقيّة السائدة أن تلبسها للعقل"². ويرجح الظهور الحقيقي والفعلي للنسق الثقافي سنة 1985 م، وذلك في "الولايات المتحدة الأمريكية، حيث استفاد هذا النسق من اللسانيات والبنيوية، غير أن المصطلح الثقافي لم يتبلور منهجياً إلا مع الناقد الأمريكي فنسان ليتش والذي أصدر سنة 1992م كتاباً قيماً بعنوان النقد الثقافي ونظرية الأدب لما بعد الحداثة"³. ومن تم فليتش هو من أطلق "مصطلح النسق الثقافي على نظرية ما بعد الحداثة، واهتم بدراسة الخطاب

1 عبد الله الغدامي، قراءة في الأنساق الثقافية، ص 19

2 بشام قطوس، المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية - مصر، ط1، 2003، ص 226

3 المرجع نفسه، ص 227

في ضوء التاريخ والسوسيولوجيا والسياسة، وتستند منهجية ليتهاش إلى التعامل مع النصوص والخطابات ليس من الوجهة الجمالية ذات البعد المؤسسي وإنما من الوجهة النقدية للنصوص¹. وتعد الأنساق الثقافية في الفكر الغربي موضوعاً حيوياً، يتناول كيفية تشكيل الثقافة للأنظمة الاجتماعية والفكرية، وتأثيرها على مفاهيم التوسع والتهميش، وفي هذا السياق يبرز كتاب "عصر البنيوية" للكاتبة "إديث كروزيل" أن البنيويين يرون أن لكل شيء بنية يمكن تفسيرها من خلال دراسة مكوناتها، مما يسلط الضوء على الأنساق الثقافية المضمرة في النصوص والممارسات الاجتماعية².

بالإضافة إلى ذلك فالكتاب قد تناول بالدراسة مفهوم النسق لدى البنيويين، مشيراً إلى "أن البنيويين يتحدثون عن البنية والنسق والنظام واللغة، ويرون أن لكل شيء بنية يمكن تفسيرها في ضوء دراسة البنية المكونة له"³، وهذا الفهم يساعد في تحليل كيفية تشكيل الأنساق الثقافية، وتأثيرها على مفاهيم التوسع والتهميش في المجتمعات الغربية.

ونستنتج أن الأنساق الثقافية في الغرب تطورت نتيجة عوامل تاريخية وفكرية متراكمة، وأثرت في تشكيل الأدب والفكر السياسي والاجتماعي، هذه الأنساق لا تزال تتغير بفعل العولمة والتكنولوجيا، مما يطرح تساؤلات حول مستقبل الثقافة الغربية وتأثيرها عالمياً.

1 بسام قطوس، المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، ص 128

2 : إديث كروزيل ، عصر البنيوية، ترجمة جابر عصفور، ط 1، مكتبة الاسكندرية- مصر سنة 1993 م ، ص 411

3 المرجع نفسه، ص 420.

8- الأنساق الثقافية عند العرب:

تبنى الأنساق الثقافية في المجتمعات العربية على تراكمات تاريخية، ودينية واجتماعية ممتدة، متأثرة بالإسلام، وبالباو، وبالقيم العشائرية والاستعمار، والعولمة الحديثة، ومن أهم النقاد العرب الذين انبهروا بالنقد الثقافي عند (ليتش) هو الناقد السعودي **عبد الله محمد الغدامي** في مجموعة من كتبه النظرية والتطبيقية ، مثل " النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية سنة 2000م ، وكتاب تأنيث القصيدة والقارئ المختلف سنة 1990م، وكتاب نقد ثقافي أم نقد أدبي سنة 2004 م، لكن كتابه " النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية العربية" يعد مرجعا مهما؛ إذ يركز فيه الغدامي على مفهوم " النسق الثقافي " بوصفه نظاما فكريا مضمرا ذا دلالة تاريخية، تنتج الثقافة عبر أفعلة الجمال والبلاغة، ليمارس تأثيره الرمزي في تشكيل فكر الأمة كما أن النقد الثقافي يتجاوز الفناع الجمالي إلى كشف العيوب النسقية المختبئة تحت الأقنعة البلاغية والجمالية"¹.

بالإضافة إلى ذلك، يتناول (عبد الله الغدامي) في كتابه **النقد الثقافي قراءة في الأنساق الثقافية** بعض الأشكال التعبيرية التي قد تهمش من طرف المؤسسة الثقافية الرسمية مثل « ألف ليلة وليلة »، باعتبارها موجهة للنساء والأطفال، بينما تقدر أعمالاً أخرى ك «كليلة ودمنة» لانتسابها إلى المؤسسة الرسمية، هذا التمييز " يبرز نسقا ثقافيا يعلي من شأنه، فئة على حساب أخرى، مما يسهم في تكريس مفاهيم التوسع والتهميش داخل المجتمع"².

1 عبد الله الغدامي، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ص 33

2 المرجع نفسه ، ص 62

وقد أصدر الباحث الجزائري **حنفاوي بوعلي** كتاباً بعنوان : "مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن" وقد اعتمد في عرض آرائه على كتابات عبد الله الغزالي التي "تعتبر مراجع ومصادر أساسية لكل الكتابات العربية في النقد الثقافي بحثاً وجمعاً وتوثيقاً ونقداً"¹.

أما الدكتور **صلاح قلنصوة** في كتابه «**تمارين في النقد الثقافي**» فإنه يدرسُ الجمل والأمثال الشعبية الشائعة والمتداولة بين الناس، ذلك في "ضوء المقارنة الثقافية القائمة على مجموعة من التصورات الفلسفية ذات الطابع الاجتماعي، لكي يقيم الدليل على انعدام الهوية بين الإنسان العلمي والإنسان المثقف، مختلفاً بذلك مع أبي حامد الغزالي ومن ثمّ يتضمن الكتاب قواعد و تمارين تطبيقية ووضعيات للإنجاز"². وعليه فالأنساق الثقافية العربية ليست ثابتة، بل تتغير مع تطورات المجتمع والعولمة، وعلى الرغم من الحداثة، إلا أن الكثير من القيم التقليدية لا تزال تلعب دوراً كبيراً في تشكيل الهوية العربية، وتؤثر في علاقات الأفراد داخلها ومع العالم الخارجي؛ إذ تظل هذه الأنساق الثقافية أداة أساسية في الحفاظ على الروابط الاجتماعية والتاريخية بين الشعوب العربية .

كما أنّ فهمَ هذه الأنساق يساعد في تعزيز الوحدة والاحترام المتبادل بين الثقافات المختلفة، والحفاظ على التقاليد والقيم التي تشكل أساس المجتمعات العربية .

1 حنفاوي بوعلي، مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، الدار العربية للعلوم، بيروت - لبنان - ط1، 2007 م ، ص 35

2 صلاح قلنصوة، تمارين في النقد الثقافي، ميرت للنشر والمعلومات، القاهرة - مصر - ط1 2007، ص 127

II - الرواية وإشكالية المصطلح:1- مفهوم الرواية:

أ- لغة : لقد جاء في باب الرّاء " رَوَى على البعير ربا أي استسقى، وروي القوم عليهم وَلَهُمْ أي: استسقى لهم الماء، روى البعير، أي : شد عليه بالرواء، وشدَّ عليه لكي لا يسقط من ظهر البعير عند غلبة النوم، وروى الحديث أو الشعر رواية أي حملة ونقله، فهو راو جَمَعُ رواة، وروى الزرع أي: سَقَاهُ والراوي: راوي الحديث أو الشعر حامله وناقله، والرواية هي القصة الطويلة"¹.

ونجد تعريف آخر، أنّها مشتقة من الفعل روى: قال ابن السكيت: " يُقال روين القوم أرويهم، إذ استقيت لهم، ويقال من أين ريكم؟ أي من أين تروون الماء؟ ، ويقال روى فلان فلاناً شِعراً، إذا رَوَاهُ له حتّى حفظه للرواية عنه، ورويت الحديث والشعر ورويته الشعر أي: حملته على روايته"² .
والرواية هي " رواية الشعر والحديث، وَرَجُلٌ كَثِيرُ الرَّوَايةِ نقول عنه : راوي، والجمع رواة"³.
وعليه فالمعنى اللغوي للرواية كما ورد في المعاجم العربية تعني نقل الحديث أو الشعر، وتشير كذلك إلى عملية النقل والتتابع، سواء كان ذلك في نقل الأخبار أو في سقي الأرض، والرواية كما ورد في المعاجم العربية مشتقة من الفعل (روى) الذي يصل معاني تتعلق بنقل المعلومات والماء.

1 مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، بيروت، لبنان، ط5، 2005، م4، ص 384

2 ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3، ج1، ص270

3 الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج2، ط1، 2003، م، ص 165

ب اصطلاحاً :

الرواية من أهم الأجناس الأدبية الحديثة، لكونها تعالج مختلف الإشكاليات الاجتماعية والفكرية والثقافية المتشعبة من جهة، ولكونها أيضاً وعاء فنياً لمختلف الأجناس الأدبية المختلفة من جهة أخرى.

والرواية تقدم موضوعات مختلفة ومتعددة حسب توجه كاتبها، وما تتطلبه ظروف العصر الراهنة، وقد يكون أبسط تعريف لها هو " أنها فن تخيلي طويل نسبياً بالقياس إلى فن القصة"¹.

وهناك من عرفها بأنها " جنس أدبي يشترك مع الأسطورة والحكاية في سرد أحداث معينة تمثل الواقع وتعكس مواقف إنسانية، وتصورها بالعالم من لغة شاعرية، وتتخذ من اللغة النثرية تعبيراً لتصوير الشخصيات، والزمان والمكان والحدث يكشف من رؤية العالم"².

كما أن الرواية تعتبر " سرد قصصي نثري يصور شخصيات فردية من خلال سلسلة من الأحداث والأفعال والمشاهد، والرواية تشكيل أدبي جديد، لم تعرفه العصور الكلاسيكية الوسطى، حيث نشأ مع البواكير الأولى لظهور الطبقة البرجوازية، وما صاحبها من تحرير الفرد من تبعيات الشخصية"³.

وترى الكاتبة، مارطاروبار بأن الرواية " لا تحضى بتعريف دقيق وهي إلى حد ما غير قابلة للتعريف"⁴.

ولقد عللت رأيها بأن الرواية ذات حرية شاملة في مادتها، وأساليبها، والتعريف البسيط الشامل للرواية " أنها مجموعة من الجمل التي تُكوّن وحدة دلالية، والتي تكون معنى، وبذلك تكون نصاً يحمل

1 علي نجيب براهيم، جماليات الرواية، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 1987، ص 36

2 سمير سعيد حجازي النقد العربي وأوهام رواد الحداثة، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2005، ص 304

3 فتحي إبراهيم، معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، المتحدين، تونس، د. ط، 1988م، ص 61، 62.

4 سيد حامد النساخ، بانوراما الرواية العربية الحديثة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 2، د. ت، ص 75

مضمونا معيناً¹، من خلال ما سبق نجد أن الرواية هي في نثري سردي طويل، يقوم على سرد الأحداث تدور حول الشخصيات في سياق زمني ومكاني معين، ويمزج بين الواقع والخيال معتمداً على الحكمة والأسلوب، والموضوع، لبناء عالم متكامل يعكس تجربة إنسانية أو رؤية فكرية كما تهدف الرواية إلى طرح قضايا اجتماعية، ونفسية وسياسية، أو فلسفية بأسلوب فني جمالي.

2. نشأة الرواية الجزائرية:

تعتبر الرواية الجزائرية جزء من الرواية العربية؛ إذ لا تختلف في نشأتها عن الرواية العربية، فنشأة الرواية الجزائرية غير مفصولة عن نشأتها في الوطن العربي كله مشرقه ومغربيه، سواء في نشأتها الأولى أوفي انطلاقاتها الناضجة، حيث أن نشأة الرواية " تختلف ظروفها بطبيعة الحال من قطر إلى قطر، فهي ذات تقاليد فنية وفكرية في حضارتها، كما أنها ذات صلة تأثرية مابهذا الفن كما عرفته أوروبا في العصر الحديث².

أما بالنسبة للرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية، فمثلا نذكر منها رواية "غادة أم القرى" لأحمد رضا حوحو التي تعالج وضع المرأة في البيئة الحجازية، وأول رواية جزائرية كتبت بالعربية هي ربح الجنوب لعبد الحميد بن هدوقة، وإن سبقتها رواية "مالا تذروه الرياح" إلى الظهور، ثم رواية الزلزال، و"اللاز" للظاهر وطار، وتعتبر رواية ربح الجنوب الرواية الجزائرية الأولى كما سبق وذكرنا، لأنها تلتقي

1 سيد حامد النساخ، بانوراما الرواية العربية الحديثة، ص 77

2 عمر بن قنينة، في الأدب الجزائري الحديث، تاريخا وأنوا لما وقضايا وأعلاما ديوان المطبوعات الجامعية - الساحة المركزية - بن عكنون الجزائر، ط سنة 2009 م، ص 195

مع رواية " الزلزال " في معالجة الثورة الزراعية ¹.

إضافة إلى رواية **المقبرة البيضاء**، ورواية **سفر القضاة** " للكاتب الروائي " أحمد زغب "، إضافة

إلى روايته المشهورة **ليلة هروب فجرة** التي نحن بصدد دراستها من حيث تفاعلها مع الأنساق الثقافية،

وكل هذه الروايات كان لها الصدى والتفاعل مع قضايا المجتمع.

وأسلوب الكاتب في الرواية، ولغته يعتبران أساس بناء الرواية في التعبير عن مختلف المواقف، والقضايا

السياسية والاجتماعية، ويرى بعض النقاد بأن " الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية في الجزائر

ساعدت على ظهور الولادة الحقيقية للرواية الجزائرية"²، وقد تأثر الجانب الثقافي بالجزائر بما حوله من

عوامل تاريخية واجتماعية، حيث أن الاستعمار الفرنسي عمَلَ على هدم معالم الهوية الجزائرية والإسلامية

العربية عن طريق تعميم سياسة الفرنسة بمحاربة اللغة العربية وعزل الجزائريين عن العالم العربي، إلا أنه

لم يتمكن من منع بعض الجزائريين من الاحتكاك بالعرب، ومنع الأدب الجزائري من النهوض، وبالتالي

جاء ظهور النهضة الأدبية الجزائرية نتيجة عدة عوامل منها العامل التربوي، والذي يقصد به تمسك

الجزائريين باللغة العربية والدين الإسلامي، وكذلك العامل الإعلامي من خلال مصادرة الصحف الوطنية

والعربية، والعامل السياسي " إذا كان للحرب العالمية الأولى، وبعض التغيرات في الوطن العربي دور

في انتشار الوعي السياسي في الجزائر وأفكار التحرر"³.

1 محمد مصايف، النثر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط سنة 1983 م ، ص 199

2 واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط، سنة 1988م، ص 90.

3 احمد منور، أدب جزائري بلسان فرنسي، نشأته وتطوره، قضاياه، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، د.ط، 2007 م، ص 72

ويرجع المؤرخ والباحث **جان ديجو**، " أول نص أدبي جزائري كتب باللغة الفرنسية إلى سنة 1891م وهو عبارة عن قصه بعنوان "انتقام الشيخ" مستقاة حسب ما يذكره **ديجو** من التقاليد والعادات الاجتماعية الجزائرية، كتبها **محمد بن رحال**، ونشرها في المجلة الجزائرية التونسية الأدبية الفنية¹. إلا أن الباحث نفسه يذكر أن " عملية المسح الشامل التي قام بها للجرائد والمجلات التي كان يصدرها الفرنسيون في الجزائر في الفترة ما بين 1880 و 1920م بحثا عن نصوص أخرى لجزائريين آخرين لم تسفر إلا على نتائج هزيلة موقعة بأسماء مجهولة الهوية"². لأنه يشك في حقيقة أصحابها، بل ويرجع أنها قد تكون أسماء مستعارة لمستوطنين فرنسيين ونظرا لهذا الفراغ الرهيب، ظهرت قصّة، "انتقام الشيخ"، وبين " سنوات العشرينيات من القرن 20م والتي ظهرت فيها عدة نصوص أدبية للجزائريين كتبوا باللغة الفرنسية، ولاسيما في مجال الرواية، ونجد **جان ديجو** المؤرخ الأول للأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية يتخذ من سنة 1920 م كانطلاقة حقيقية لهذا الأدب الناشئ"³.

ويعد المؤلف " **بن شريف** " الموسوم بأحمد بن مصطفى القومي، بداية تلك الانطلاقة وينظر إليها بأنها " أول رواية يكتبها جزائري باللغة الفرنسية، وتدور أحداثها حول يوميات أحد المجندين الجزائريين في الجيش الفرنسي إبان الحرب العالمية الأولى"⁴.

1 أحمد منور، الأدب الجزائري بلسان فرنسي، نشأته وتطوره وقضاياها، ص 40 .

2 المرجع نفسه، ص 46 .

3 المرجع نفسه، ص 51

4 المرجع نفسه : من 87

ولقد لعبت الحرب العالمية الثانية دوراً فعّالاً في نضج الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، وكذلك العربية، ولقد جسدت الرواية مظهرًا من مظاهر الدفاع والمقاومة، والبحث عن الهوية، فالأدباء الجزائريون " ذوي اللسان الفرنسي يحملون في أعمالهم هموم الوطن والأمة، ما جعلهم يعبرون في أغلب الأحيان عن الحقيقة الاستعمارية الاستطانية، وتختلف رؤيتهم تماماً عن الكتاب الفرنسيين، ومن الروائيين نذكر "محمد ديب" و"كاتب ياسين" اللذان مارسا الكتابة باللغة الفرنسية دون الوقوع في فخ الاستعمار وإغراءاته، ولم تتغير توجهاتهم"¹.

رغم أن الثقافة الفرنسية كانت مفروضة عليهم، ولكن كتاباتهم جسدت واقعهم الاجتماعي، فكتبوا للثورة وعن العذاب والمرض، وعن قضايا المجتمع الجزائري. وعليه نجد أن الرواية الجزائرية نشأت في سياق تاريخي وثقافي معقد، حيث لعب الاستعمار الفرنسي دوراً كبيراً في تشكيل ملامحها الأولى، فكانت الرواية وسيلة مقاومة وتعبير عن الهوية الوطنية، والحفاظ على التراث الشعبي الأصيل، ومع تطور الزمن، تجاوزت الرواية الجزائرية الطابع النضالي لتتناول قضايا إنسانية واجتماعية وفكرية متعددة، مما جعلها تتبوأ مكانة مهمة في الأدب العربي والعالمية.

وهكذا فإنّ الرواية الجزائرية لم تكن مجرد فن أدبي، بل كانت سجلاً حافلاً لتحولات المجتمع الجزائري وتعبيراً صادقاً عن آماله وآلامه، عبر مختلف المراحل والعصور، فالرواية كانت ولا تزال مرآة عاكسة لحياة المجتمع الجزائري بكل تفاصيلها وتعقيداتها.

1 حفاوي بوعلي، تحولات الخطاب الروائي الجزائري، آفاق التجديد ومذهبيات الفكر، دار الغرب، الجزائر، د. ط، سنة 2004 م، ص 63.

3 . خصائص الرواية :

تتسم الرواية بالخصائص السمات التالية :

- الرواية العربية ذات طابع شعبي، فهي نماذج من " الحكايات الشعبية لارتباطها بعين المقامة، فهي ذات أسلوب قصصي يستند إلى مجموعة من المرجعيات التي تعتمد على المظاهر والتقنيات اللغوية، لتحقيق غايات ومقاصد تحت مظلة اتجاه فكري معين، فقد كتب أصحابها حول التغيرات الحديثة في مختلف المجالات الفكرية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.¹

- الرواية العربية تحث على مقاومة المحتل، والاهتمام بالذاتية الإنشائية والاهتمام بالقضايا الاجتماعية، فمن هنا نستطيع أن نقول أنها " بنت الحياة المدنية، والاهتمام بمظاهر الحياة الحديثة، والمدينة الجديدة، فقد غلب عليها التراث العربي بأسلوب تاريخي، وذلك بالانتماء إلى الاتجاه القومي والتراث العربي الأصيل² .

- الرواية تصور واقع الأرياف، والقرى والأحياء الشعبية، بتصوير " واقع فئات المجتمع المسحوقة، والكادحة التي تعيش على هامش المجتمع، فأحداثها مستلهمة من التقليد العربي من قصص وحكايات وتقديمها في حلة جديدة، لتمنح القاص العربية طابعا وخصوصية، وقلة الاهتمام بالعنصر الجمالي في الرواية العربية، بسبب غياب الأمل في تحقيق الديمقراطية، وتحقيق النصر في ظل الانهزامات العسكرية المتلاحقة. والتقلبات السياسية³ .

1 منصور قيصومة، اتجاهات الرواية العربية الحديثة، الدار التونسية للكتاب بتونس العاصمة، ط 1، سنة 2013 م، ص 11

2 المرجع نفسه، ص 13

3 المرجع نفسه، ص 7

وعليه فالرواية تعد مرآة صادقة تعكس تحولات المجتمع بصفة عامة عبر الزمن، فقد انطلقت من هموم التحرر الوطني ومقاومة الاستعمار، ثم تطورت لتعبر عن قضايا اجتماعية، وسياسية وثقافية أكثر عمقاً وتعقيداً، وما يميزها هو غناها بالرموز، وواقعية طرحها، وتنوع لغاتها وأساليبها، مما جعلها تعكس بصدق التنوع الثقافي واللغوي للمجتمع، ولقد استطاعت الرواية العربية، وخاصة الجزائرية منها أن تحجز لنفسها مكانة مهمة في الأدب العربي والعالمي، بفضل خصوصيتها وتمسكها بالهوية وسط تحديات التغيير و التحول.

4- تفاعل الرواية الجزائرية مع الأنساق الثقافية:

تعد الرواية الشعبية الجزائرية من أبرز التعبيرات السردية التي تعكس الذاكرة الجماعية للشعب، وتختزن الكثير من القيم الثقافية، والرموز والأساطير، والحكايات التي صاغها الوجدان الشعبي عبر الأجيال وامتازت بقدرتها على مقاومة النسيان والتهميش من خلال تداولها شفويا، ثم تحولت إلى المدونة المكتوبة فصارت " مادة خصبة للدراسة من زاوية الأدب الشعبي، والأنساق الثقافية، والهوية"¹.

وتفاعل الرواية الجزائرية مع الأنساق الثقافية يعد من أبرز ملامح تطورها، وتفردها في السياق العربي، حيث تعكس " الرواية الجزائرية تحولات المجتمع ومقاومته للهيمنة الثقافية، سواء من الاستعمار أو من البنى التقليدية المحلية"².

ويمكن تناول هذا التفاعل من خلال عدة مستويات:

1 عبد الحميد بورايو، الرواية الشفوية في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، ط2، 2006م، ص 34 .

2 المرجع نفسه ، ص 37

أ- النسق الاستعماري ومقاومته :

ظهرت الرواية الجزائرية في سياق مواجهة الاستعمار الفرنسي، فكانت تحمل حمولة ثقافة المقاومة، حيث كانت تستحضر التاريخ، والهوية واللغة كوسائل للصمود، ويتجلى ذلك في رواية **نجمة لكاتب ياسين**، حيث يظهر تفاعل الرواية مع النسق الاستعماري، من خلال توظيف " الذاكرة الشعبية والتاريخ الوطني كأداة للمقاومة الثقافية، كما يستعمل **كاتب ياسين** الترميز الأسطوري، واللغة الشعرية، لبناء هوية سردية متمردة على التبعية، كما أن **نجمة** ليست شخصية فقط، بل هي وطن مغتصب، وسردية مقاومة تتبع من عمق الذاكرة " ¹.

ب - النسق الديني و التقليدي :

تناولت الرواية الجزائرية كثيراً من الموروث الديني والاجتماعي بالنقد والتحليل، خصوصاً عندما يتقاطع مع سلطة المجتمع الذكوري، أو يعوق التحديث والتحرر الفردي، فالرواية الجزائرية الحديثة كثيراً ما تفضح تناقضات النسق التقليدي داخل الأسرة أو الجماعة، ونلاحظ من خلال أعمال الروائي الجزائري **"طاهر وطار"**، خاصة روايته المشهورة **اللاز**، نوعاً من " النقد للنسق الديني، حين يتحول إلى أداة للهيمنة، خاصة عندما يستخدم لتبرير الصمت أو الخضوع، كما أن الطاهر وطار لا ينظر للدين كعقيدة بل كنسق ثقافي يتحول إلى سلطة إيديولوجية تسكت الأسئلة، وتعيد إنتاج الخوف" ².

وعليه فحضور الدين كعنصر ثقافي أو فكرة أو اجتماعي في بنية الرواية، يظهر بأشكال مختلفة،

1 زهور كرام، الكتابة النسوية في المغرب العربي، المركز الثقافي العربي المغرب الأقصى، د. ط، 2004م، ص 87 .

2 عبد القادر بن زيدان، الرواية الجزائرية وسؤال الهوية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط2، 2012، ص 112

مثل: الشخصيات المتدينة أو المتأزمة دينياً، وكذلك في تأثير الدين على القرارات الأخلاقية، والهدف منه قد يكون لكشف تناقضات المجتمع، أو نقد استغلال الدين، أو لا استحضار بعد روعي و فلسفي في العمل الروائي، كما أن حضور العادات والتقاليد الاجتماعية المتوارثة، والتي قد تكون مقيدة لحرية الأفراد خصوصاً النساء، أو معرقة للتغيير أو الحداثة، أو تكون محوراً في تشكيل الهوية والانتماء والهدف من كل هذا هو كشف تحولات المجتمع، وإبراز صراع التحديث مقابل الأصالة، وتعرية السلطة الأبوية والقبلية، وفضحها للعلن.

ج. النسق الذكوري والنسوي :

برز هذا التفاعل بقوة في روايات الكاتبات الجزائريات، مثل: أحلام مستغانمي حيث تُخضع الرواية البنى الذكورية للمساءلة، وتفتح المجال أمام سرديات المرأة التي كانت مهمشة أو مقموعة، ونلمس ذلك من خلال رواية (ذاكرة الجسد) للروائية أحلام مستغانمي، حيث أن الكاتبة تقدم "خطاباً سردياً أنثوياً يفكك الهيمنة الذكورية، عبر توظيف الذاكرة، واللغة كأدوات مقاومة، كما تنبني الرواية عند مستغانمي على مساءلة خطاب الرجل، لا بوصفه فرداً، بل بوصفه نسقاً ثقافياً، واجتماعياً"¹.

وعليه فالنسق الذكوري والنسوي هما مفهومان يستخدمان كثيراً في الدراسات الاجتماعية والثقافية والنسوية، وذلك لفهم البنى الاجتماعية، والأدوار بين الجنسين، وفي المجمل يعد فهم النسق الذكوري والنسوي خطوة أساسية، نحو تحليل البنى الاجتماعية والثقافية، التي تشكل وعي الأفراد وأدوارهم في المجتمع، فالنسق الذكوري ليس مجرد نظام يفضل فيه الرجال على النساء بل هو إطار ثقافي راسخ، يعيد إنتاج التمييز

1 عبد الله الغدامي، المرأة واللغة، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط 1، 2000م، ص 133

بين الجنسين عبر العادات والتقاليد، والمؤسسات المختلفة في المقابل يبرز النسق النسوي كحركة فكرية واجتماعية تسعى إلى تفكيك هذه البنى غير العادلة، والدعوة إلى مجتمع قائم على العدالة والمساواة بين الجنسين، دون تمييز أو إقصاء.

لذا فالتوازن بين هذين النسقين لا يعني صراعا بين الرجل والمرأة، بل هو سعي نحو إعادة بناء العلاقات الإنسانية على أسس من التفاهم والاحترام والتكافؤ، وبالتالي فإن إدراكنا لهذين المفهومين يسهم في تشكيل وعي نقدي قادر على مواجهة التمييز بينهما، وتحقيق تحول حقيقي نحو مجتمع أكثر عدلاً وإنصافاً للجميع.

د. النسق الشعبي والأسطوري:

تستثمر الكثير من الروايات الجزائرية في الذاكرة الشعبية، والحكاية والأسطورة، لتعيد بناء سردية وطنية أو محلية، كما يظهر ذلك في بعض أعمال الطاهر وطار أو في روايات أحمد زغب، هذا الأخير الذي يوظف النسق الشعبي من أجل فضح نسق السلطة أو الفساد، أو الكبت المجتمعي ونلمس هذا خصوصا في رواية (ليلة هروب فجرة) التي نحن بصدد دراستها حيث يتم تفعيل النسق الشعبي والأسطوري لتفويض سلطة الراهن، واستدعاء أصوات الهامش، و" النسق الشعبي ليس فقط مادة حكي، بل هو بنية ثقافية تنفتح على السياسة والجسد والسلطة " ¹، لأن النسق الشعبي واقعي، ويعبر عن تجربة الناس اليومية

1 جميلة حنفي الرواية الشعبية الجزائرية، جدل التراث والحداثة، دار ومضة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2021، م، ص 59

عكس النسق الأسطوري " يتصل بالماورائيات والرمزية العميقة، فهو نظام من الرموز والحكايات التي تندرج من خلال قصص مقدسة أو خرافية تتضمن الآلهة، والأبطال والكائنات الخارقة وتستخدم لتفسير الظواهر الطبيعية، أو لتثبيت القيم الثقافية " ¹.

وعليه يمكن القول أن توظيف النسق الشعبي والأسطوري في الرواية الجزائرية يعد أداة فنية، وجمالية غنية تحكي وعي الكتاب بتراثهم الثقافي، وعمق انتمائهم للهوية الوطنية، فمن خلال استدعاء الحكايات الشعبية والأساطير المحلية، والشخصيات الرمزية، فقد استطاعت الرواية الجزائرية أن تعيد تشكيل الواقع بأساليب تعبيرية تجسد الصراع بين الحداثة والأصالة بين الفرد ومجتمعه، كما أتاح هذا التوظيف للرواية أن تكون فضاء للتأمل في التاريخ، وتفسير الواقع، واستشراف المستقبل، مما يجعل النسقين الشعبي والأسطوري عنصرين حيويين في البناء السردى والرمزي للأدب الجزائري المعاصر.

هـ. النسق اللغوي والثقافي :

تعيش الرواية الجزائرية داخل قضاء لغوي متعدد (العربية، الأمازيغية، الفرنسية)، وهذا التعدد يعكس صراعا ثقافيا وهوياتيا عميقا وتستخدم الرواية هذا التعدد ليس فقط للتعبير عن التنوع، بل أيضا لتفكيك خطاب الهيمنة والاستلاب، والنسق اللغوي والثقافي في الرواية الجزائرية يشكلان عنصرين أساسيين في فهم البنية السردية والهوية الثقافية للأدب الجزائري المعاصر، " وتظهر الدراسات الأكاديمية الحديثة كيف يعكس الروائيون الجزائريون التعدد اللغوي والتنوع الثقافي في أعمالهم، مما يعكس التهجين

1 جميلة حنيفة الرواية الشعبية الجزائرية، جدل التراث والحداثة، ص 62

بين العربية والأمازيغية والفرنسية، بالإضافة إلى التفاعل مع التاريخ والسياسة والمجتمع "1.

وعليه نرى أن الرواية الجزائرية قد أصبحت مرآة عاكسة لتعدد الانتماءات وتناقضاتها، وجسرا بين

الموروث الثقافي والحداثة، مما يجعلها مجالاً خصبا لدراسة التحولات العميقة في المجتمع الجزائري،

فالنسق اللغوي والثقافي، لا يؤديان دوراً تزيينياً فحسب، بل يسهمان في تشكيل المعنى، وبناء

الشخصيات، وتوجيه القاري نحو تأملات أعمق في الذات والتاريخ والهوية، كما أن الرواية الجزائرية من

خلال تفعيلها لهذين النسقين تجاوزت البعد الجمالي إلى البعد الوظيفي الذي يسهم في مساءلة الواقع،

وإعادة تشكيل الوعي الجمعي.

وعليه فإن دراسة الأنساق اللغوية والثقافية تعد مدخلاً أساسياً في الخطاب الروائي الجزائري، ولمقاربة

هويته السردية في البعد التاريخي والاجتماعي.

وخلاصة القول من خلال تطرقنا لتفاعل الرواية الجزائرية مع الأنساق الثقافية، من حيث عدة مستويات

نقول أن الرواية الجزائرية تعد - مرآة - عاكسة للتحولات الاجتماعية والسياسية والثقافية التي شهدتها

المجتمع الجزائري، خاصة بعد مرحلة الاستعمار، وقد تفاعلت الرواية بشكل عميق مع الأنساق الثقافية

السائدة، سواء بتكريسها أو بنقدها، مما جعلها أداة قوية في تفكيك البنى الاجتماعية والثقافية، ووسيلة

لإعادة قراءة الذات الوطنية.

1 حسينة فلاح، نشيل التهجين اللغوي والثقافي في الرواية الجزائرية، مجلة الممارسات اللغوية، ديوان المطبوعات النشر والتوزيع، العدد 1 ،

ط2، 2020م، ص7

الفصل الثاني

الدراسة التطبيقية

الأنساق الثقافية في رواية ليلة هروب فجرة

" لأحمد زغب "

1 . تمهيد:

تعد الرواية الجزائرية من أبرز الأجناس الأدبية، التي ساهمت في نقل هموم المجتمع وتحولاته، كما شكلت مرآة عاكسة للأنساق الثقافية التي تحكم حياة الأفراد والجماعات، وفي هذا السياق، تبرز رواية ليلة هروب فجرة للكاتب أحمد زغب كعمل أدبي غني بالأبعاد الاجتماعية والثقافية، حيث تنسج خيوطها ضمن فضاء صحراوي تقليدي زاخر بالدلالات الرمزية والتاريخية، وتظهر الرواية من خلال شخصياتها وأحداثها تفاعلاً عميقاً مع أنساق ثقافية متنوعة، كالعرف، والدين، والمكان، واللغة، والهوية، مما يجعلها مجالاً خصباً للتحليل الثقافي، كما أن رواية ليلة هروب فجرة للكاتب أحمد زغب ليست مجرد سرد لحكاية فردية داخل مجتمع صحراوي تقليدي، بل هي نص ثقافي يزخر بأنساق ثقافية متعددة، تشكل البنية العميقة للمجتمع المحلي، وتعكس علاقات السلطة والمعرفة والقيم، فالرواية تحفر في الذاكرة الجماعية وتُظهر التوتر القائم بين سلطة العرف والدين والهوية من جهة، وبين طموح الفرد إلى التحرر والانعتاق من جهة أخرى، ومن هنا تظهر أهمية هذه الدراسة في كشف تلك الأنساق الثقافية الكامنة خلف الخطاب السردية، ومُحاوَلَة فَهْم كَيْفَ تُنتج الرواية خطاباً ثقافياً يعيد تشكيل الوعي بالذات والمجتمع كما أن تحليل الأنساق في هذا العمل يُمثل مدخلاً لفهم أعمق لدينامكية الثقافة في الجنوب الجزائري، وما تطرحه من إشكالات حول الانتماء، والحرية، والتحول، وعليه سنعالج بالدراسة في هذا الفصل التطبيقي إشكالية تجسيد الرواية للأنساق الثقافية في المجتمع الصحراوي، والكيفية التي تعيد بها إنتاج هذه الأنساق أو تفكيكها داخل بنيتها السردية، وكيف تساهم هذه الأنساق الثقافية في تشكيل هوية الشخصيات، وبناء الصراع داخل النص السردية.

2. التعريف بالكاتب: " أحمد زغب " روائي وكاتب، وباحث أكاديمي جزائري، من مواليد 10 نوفمبر

1960م بالرقبية ولاية الوادي، عمل مدرسا في مدارس الجزائر بين 1987 و2001، ثم أستاذا مساعداً في جامعة محمد خيضر بسكرة بين سنتي 2001 و2002، وهو الآن يشغل أستاذا للتعليم العالي بجامعة وادي سوف¹. " نشأ أحمد زغب في بيئة جزائرية أصيلة، حيث تأثر منذ صغره بالثقافة المحلية والتراث الشعبي لمنطقة وادي سوف، هذا التأثير المبكر بالبيئة المحيطة، أسهم في تشكيل اهتماماته المستقبلية بالأدب الشعبي والفولكلور². " أكمل تعليمه الأساسي والثانوي في مسقط رأسه، حيث أظهر منذ سنواته الأولى شغفا بالقراءة والكتابة، مما نمى لديه حساً أدبيا، وثقافيا، تحصل على شهادة "الدكتوراه" سنة 2007 برسالة الموسومة **بجمالية النص الشعري المتناهي - مقارنة أسلوبية سيميائية -** وأصبح عضوا لأطلس الثقافة الشعبية بجامعة الجزائر، وقد عمل على عدة مشاريع كمشروع وحدة بحث قاموس الفلكور الجزائري ومشروع ماستر أدب شعبي بجامعة الوادي³. أنتج العديد من الأعمال العلمية والأدبية، تذكر منها المجموعة القصصية: " المقبرة البيضاء"، ورواية " سفر القضاة"، ورواية " ليلة هروب فجرة".⁴

هذا بالنسبة للأعمال الأدبية، أمّا أعماله العلمية فكان أبررها: ديوان " ابراهيم بن سميحة " و " أحمد بن عطا الله" و " فاطمة منصور". وكذلك " الشعر الشعبي الجزائري"، من الإصلاح إلى الثورة"

1 منصة أريد www.portal.arid.my السيرة الذاتية لأحمد زغب، أطلع عليه بتاريخ: 2025/04/27 على الساعة: 17:30

2 الموقع نفسه، أطلع عليه على الساعة: 17:30 في التاريخ نفسه.

3 الموقع نفسه، التاريخ نفسه، الساعة 18:05.

4 منصة من هُم، منصة الحضور العربي الموثق للأفراد والمؤسسات، إحدى منصات مجرة، أطلع عليه بتاريخ 2025/04/28،

على الساعة : 21:00

و" سيمياء الشعر الشفاهي"، بالإضافة إلى كتاب الأرجوزة النسوية من التبعية والخضوع إلى إثبات الذات في النظام البطريار" عام 2017 " ومعجم ألفاظ الفلكلور الجزائري، عام 2018 و" تحقيق كتاب "القول الفصل في الرجوع بالعامي إلى الأصل" عام 2018م، كمآله أبحاث علمية عن اللهجات والشعر الشفاهي والأنثروبولوجيا، وبحوث قصيرة في المجالات الأكاديمية المحكمة محليا وعربيا.¹ له عدة أعمال أخرى كثيرة نذكر منها: "أعلام الشعر الملحون" ج 1 / ج 2 / ج 3 / ج 4 سنة 2006 2008، 2010، 2013، "، بالإضافة إلى أعمال قصصية في طور الإنجاز: حكايات لويزة بنت عمار الحكايات الشعبية النسوية، وكتب الاشتراك المتمثلة في دراسات في أدب الأطفال 2004، الشيخ. محمد الطاهر تليلي حياته وآثاره 2009². وليس هذا فحسب، فهذه إصدارات مختلفة بين العلمية والأدبية تذكر منها: "مبادئ في الأنثروبولوجيا 2012"، عمود الدخان رواسب في الثقافة الشعبية 2015، الفلكلور النظرية والمنهج والتطبيق 2015 الألعاب الشعبية محاولات المقاربة تاريخية وأنثروبولوجيا لنماذج من منطقة وادي سوف 2016³ تظهر أعماله التزاما عميقا بالحفاظ على التراث الثقافي، وتعزيز الهوية العربية والإسلامية من خلال الأدب الشعبي والبحث العلمي، فرغم تقاعده من مهنة التعليم الجامعي، إلا أنه لا يزال يواصل رحلته في البحث والتأليف، وعليه فأحمد زغب يعد أيقونة من أيقونات الفكر والأدب الشعبي في الجزائر إذ جمع بين عمق البحث الأكاديمي وروح الإبداع الأدبي، مسخرا جهوده لحفظ التراث الثقافي وتوثيقه ومبرزاً أهمية الهوية في زمن التحديات المتسارعة.

1: منصة من هُم، موقع سابق، أطلع عليه بتاريخ: 2025/4/28 على الساعة: 11:10

2 الموقع نفسه، التاريخ نفسه، أطلع عليه على الساعة: 21:30 الموقع السابق، التاريخ نفسه، الساعة: 21:30

3 الموقع نفسه، التاريخ نفسه، أطلع عليه على الساعة: 21:45

فلقد ترك بصمة متميزة في الحقل الثقافي، وبات مرجعا يحتذى به في دراسات الفولكلور والأنثروبولوجيا الأدبية، ليبقى إرثه العلمي والأدبي منارة للأجيال القادمة.

3 ملخص الرواية :

أحداث هذه الرواية وقعت في إحدى قرى وادي سوف بالجنوب الشرقي من الجزائر، حيث تنتشر بعض القرى الصغيرة التي تضم مجموعة من البيوت الجبسية المتراسة التي عرف أهلها نوعا من الاستقرار مع زراعة النخيل، ومن هذه القرى قرينا « النخلة » و « الخبنة»، وبمحاذاتها توجد بادية باغام، أين تقيم قبيلة " أولاد حامد"، وهم من البدو الرحل، وكان من عادة الناس في هاتين القريتين إقامة الأعراس التقليدية في فصل الخريف، مع موسم جني التمور، وتُدعى إليها فرقة " البارود " .

كان الفتى عايش من قبيلة " أولاد حامد" أبرز أعضاء هذه الفرقة، وذلك بمهاراته الفريدة في الرقص والإنشاد وإطلاق البارود وبقناره المميز على رأسه، حتى عُرفَ بين أقرانه، وعُشِّقَ رقصاته بصاحب القنار المائل، ولأن خروج النساء إلى مثل هذه الحفلات، كان عرفا لدى هذه الجماعة، فإن الغاية منه هو أداء رقصة "النَّخ"، والتي تستظهر فيها المقبلات على الزواج مفاتنهن، ويعبرن من خلالها على استعدادهن للظفر بفارس الأحلام من بين الشباب المتربص في حلقة الرقص، كما أن العُرفَ السائد يفرض على الشاب الراغب في الزواج أن يختار واحدة من بين النَّائِحَاتِ، فإشارة أحلامه، وتكون علامة

البيوت الجبسية : نسبة إلى مادة الجبس التي تشيد بها البيوت قديما في واد سوف.

قرينا النخلة والخبنة : من قرى واد سوف تقعان على أطراف البادية.

رقصة النخ: رقصة شعبية طقوسية قديمة معروفة في وادي سوف تؤديها بعض الفتيات ممن بلغن سن الزواج.

ذلك الاختيار أن يصب فوق رأسها العطر، وهكذا يكون قد اختار شريكة حياته رسمياً بمباركة الحاضرين

تعرف الشاب "عائش" صدفة على الفتاة "باكي" ذات الإثنى عشر ربيعاً التي خرجت لتتخ في حفل عرس أخيها عامر بن الحفناوي أحد أثرياء قرية الخبنة، وكان الفتى عائش يردد أبيات شعرية مع رقصته في التغزل بامرأة من النجع ذاع صيتها بفجرة، فأبى إلا أن يسمي محبوبته الصغيرة بفجرة، وهو الاسم الذي عرفت به باكي، بعد ذلك، وما إن لمح عائش الفتاة الصغيرة فجرة، حتى صب فوق رأسها العطر، مخترقاً بذلك الطابو، الذي يعتبر البدو الرحل مجرد بدو مشردين في الصحراء، لا مقر لهم ولا قرار، بل هم أشبه بحال الشحاذين، وقد خلف إقبال عائش على هذه الخطوة استياء كبيراً لدى أهل العرس، لكون، باكي كانت مخطوبة لابن عمته العرباوي الشاب الخجول المدلل، الذي كان لا يحسن شيئاً عدّاً طهي الشاي على حد تعبير شباب قريته، لذلك كان محل تندر من شبان قريته، وأما الحفناوي، والد باكي، فكان يريد من وراء زواج ابنته من ابن أخته هو المحافظة على ثروته وحمايتها من الأغرار، شاع بين الناس حُب الفتى عائش للفتاة فجرة بنت الحاج الحفناوي تاجر التمور، وأحد أثرياء البلدة المعروفين ولكي يتخلص من السنة الناس سارع الحفناوي إلى إعداد مراسيم زواج ابنته، للتخلص من هذه المشكلة، في أقرب وقت ممكن، فاغتمت الفتاة باكي التي كانت تهيم "بصاحب القنار"، وكلما اقترب موعد الزفاف اسودت الدنيا في عينيها، وكانت تنتظر قدوم فارس أحلامها الفتى عائش ليختطفها من أهلها، بعد أن رفض الحفناوي فسخ خطوبة ابن أخته وتزويجها لعائش، إذ أنّ العُزف كان أقوى من عائش، فقد فكر في الأمر، غير أنه تراجع خشية إلحاق الأذى بحبيبتة فجرة، كما أن شهامته كانت تمنعه من تنفيذ هذا الفعل، الذي قد يؤدي به، وبحبيبتة فجرة إلى الهلاك .

عند عين القرية أطلقت "باكي" رجليها للريح نحو ديار قبيلة أولاد حامد ووصلتها في حالة يرثى لها وتقطن أهلها لغيابها فاستحو الخطفى نحو مرابع هذه القبيلة بحثا عنها، ورفض شيوخ قبيلة أولاد حامد تسليمها إلى أهلها إلا بحضور إمام القرية، "الطالب الحسين"، الذي اهتدى إلى حيلة فقهية يبرُّ بها قَسَمَ والدها "الحفناوي"، الذي أقسم على قطع رأسها، والحيلة بجز شيء من شعرها، وكأنه قطع رأسها، وأمَّا خطيبها "العرباوي"، فقد وجد في هروب خطيبته باكي حلاً لعقدته من أهل قريته، وكابوساً انزاح من على صدره، بالتخلص من هذا الزواج المشؤوم بالنسبة إليه.

خضع الحاج الحفناوي للأمر الواقع، وقَبِلَ بزواج ابنته على مضض من فتى أولاد حامد، غير أنه اشترط أن يكون الزواج، وإقامة العريسين في قريته إقامة دائمة، لعله يرمم شيئاً من كرامته المهذورة أمام أبناء قريته، وتمت مراسيم الزواج في فتور وترقب واستهجان من أهل العريسين، ولعب العريس عايش بالقرابية التي أفلتت هذه المرة من يده، ولم ينفعه قُنَّاره المائل، ففقد في تلك الليلة بعض أصابعه، ووقد في مستشفى، الوادي، وتلقق به العروس فجرة وتهنئة على السلامة.

وعليه نجد رواية "ليلة هروب فجرة" هي رواية اجتماعية تتناول المرأة في المجتمع التقليدي، وحرية اختيار الزوج المستقبلي، وقهر المرأة بإجبارها على زواج لا ترغب فيه، وتمرداها على النظام الذكوري، ونجاحها أحياناً في قلب الأمور، وزواج عايش من الفتاة فجرة يعد كسراً لحدود العشق الممنوع، ورسم حياة جديدة بعيدة عن تسلط وجبروت النظام الذكوري، وهذا ما جسده الرواية، حينما بينت الصراع بين الولاء للعرف، والتمرد على القيود الاجتماعية بحثاً عن الحب والحرية، والبحث عن الذات في مجتمع تقليدي، من خلال قصة حب ممنوعة كان لها الانتصار في الأخير بكسر كل القيود والطبوهات.

4 الأنساق الثقافية في الرواية :

تعتبر الرواية الجزائرية المعاصرة مجالاً خصباً للدراسات الثقافية وحاضنة وحاملة لمختلف التوجهات والإيديولوجيات، إذ ومهما، أراد كل مبدع التجرد من خلفياته، وثقافته من خلال أي عمل إبداعي يرمي به نحو الجمالية، إلا وانصاع بوعي أو دون وعي لتخطي التمثيل الجمالي إلى الجوهر الدلالي المعبر عنه وفق أنساق مضمرة أو ظاهرة تعبر عن ثقافة ومكتسبات الكاتب القبلية والكشف عن هذه الأنساق مهمة كل باحث في مجال النقد الثقافي " ويتجاوز مستوى الوصف البنيوي، نحو عملية التأويل، وذلك بالبحث في المرجعيات الثقافية المحددة لدينامكية السرد ، وقوته الرمزية في تشفير العالم، واستنطاق سياسات التمثيل السردية"¹.

وفي خضم قراءتنا المتمعنة لرواية "ليلة هروب فجرة" للكاتب والروائي الجزائري أحمد زغب استوقفتنا العديد من الأنساق الثقافية، التي كانت بمثابة مفاتيح لفك شفرات عمق الوعي الثقافي لدى الكاتب، كما أن الرواية التي نحن بصدد دراستها تعد نموذجاً غنياً في الأدب الجزائري المعاصر، حيث تتداخل فيها الأنساق الثقافية المتنوعة، التي تعكس واقع المجتمع الصحراوي، وتبرز هويته، من خلال توظيف اللغة واللهجة وتسليط الضوء على العرف والولاء والرفض، وكذلك العادات والتقاليد السائدة في المنطقة استحضر الفضاء البدوي والتناص القرآني، وتوظيف الموروث الشعبي، فالرواية هنا تقدم صورة متكاملة لواقع ثقافي غني ومعقد.

1 محمد بوعزة، سرديات ثقافية، منشورات الاختلاف، الرباط، المغرب، ط1، 2014، ص 15

ودورنا كطلبة باحثين قُمنّا بتحليل مفصل للأنساق الثقافية في الرواية، مبرزين دورها في الحفاظ على هوية وأصالة المجتمع الجزائري، ومن أبرز الأنساق الثقافية التي كان لها الحضور في الرواية نذكرُ :

أ. فضاءات العنوان :

فضاءات العنوان في رواية ليلة هروب فجرة لأحمد زغب، تحمل أبعادا دلالية وجمالية متعددة، تسهم في إضاءة النص قبل الولوج إلى مكوناته السردية. ويمكن تحليل العنوان من خلال ثلاث فضاءات رئيسية

1. الفضاء الزمني :

كلمة (ليلة) تشير إلى زمن محدد مظلم، لكنه حاسم يوحي بالتوتر، والترقب، والسرية، والزمن الليلي في الثقافة الأدبية، غالبًا ما يرتبط بالأحداث المصيرية، كالهروب أو بالخطيئة أو بالتطهر.

2. الفضاء الحركي / الحدثي :

كلمة (هروب) تحمل دلالة الفعل والحركة والتغير، وكلمة (هروب) هي مصدر للفعل (هرب)، وهو يدل على الانفصال، والتمرد أو النجاة، وهذا اللفظ يضع القاري أمام سؤال :

- ممن تهرب فجرة ؟ ولماذا ؟

- وهل الهروب خلاص أم جريمة ؟

3. الفضاء الإيحائي / الشخصي :

(فجرة) هو اسم شخصي، لكن محمل بالمعاني، فقد يرمز إلى المرأة كجسد أو كرمز للمجتمع، والاسم في حد ذاته يحمل إيقاعًا يوحي بالاختراق والتمرد، كما أن الاسم يوحي أيضا بالثنائية: (فجرة) كاسم،

و(فجرة) كمعصية، ما يفتح المجال أمام تأويلات دينية وأخلاقية.

وكقراءة شاملة للعنوان (ليلة هروب فجرة)، نجده عنواناً محملاً بالرمزية ويوحى بحدث مصيري يقع للمرأة في جو مظلم، وربما يحمل في طياته نقداً اجتماعياً، أو صراعاً وجودياً بين القيم والتحرر. من خلال ما سبق نجد أن العنوان (ليلة هروب فجرة) في حد ذاته نسقاً ثقافياً يحيل دلالياً على هوية الرواية، ويغري باكتشاف عوالمها السحرية، واكتشاف خباياها السرية لذلك فإن للعنوان أهمية كبرى فهو أول عتبات النص بل يتعدى أحياناً بأن يصبح نصاً موازياً يزاحم النص الأصلي. ولهذا فإننا نرجح أن الكاتب أحمد زغب قد اختار هذا العنوان ليس بدافع الانزياح الدلالي فقط ولا لدواع أسلوبية محضة بقدر ما هو نسق للهوية.

ولتوضيح ذلك لابد من تفكيك لهذا العنوان قصد الوصول إلى دلالة المضمون، فلقد جمع العنوان **ليلة هروب فجرة** نسقية الزمان والمكان والشخصية، فالعنوان يحمل ثلاث كلمات هي عبارة عن مركبات اسمية في نسق تراتبي، يكشف عن هوية الرواية في مستوى الفعل السردي، فهي جملة نحوية طويلة تعبر عن عمق المأساة التي تدور رحاها فوق رمال الصحراء. فالليلة إحالة دلالية على الزمن الصحراوي الذي يعد نسقاً عرفياً في ذاكرة أهل الصحراء، حيث يختزن كل الأسرار عن العيش في الصحراء، ربما الأمر يتعلق بنظرة الفرد الصحراوي لهذا الفضاء الفسيح اللامتناهي فالليل هو السمرُ والسفرُ، ودليل القافلة والثأر والخلوة، وقديماً قال (امرئ القيس) واصفا الليل:

" وليل كموج البحر أرخى * * * سدوله علي بأنواع الهموم ليبتلي " ¹.

وقال (المتنبي) عن الليل مفاخرا:

" الخيل والليل والبيداء تعرفني * * * والسيف والرمح والقرطاس والقلم " ².

فحكاية الليل مع الصحراء نسقية مزمنة، ترتبط بأنساق **الولاء والرفض**، التي تجذرت بتراكم تجارب أهل الصحراء، عبر السنين في علاقة تدين موضوعية، فهي حسب مرسيا إليا: " رغبة الإنسان المتدين بالعيش في المقدس تعادل في الواقع رغبته في أن يقيم نفسه في حقيقة موضوعية " ³.

وأما نسقية الهروب، فتتجلى في فعل الهروب يبعده الحقيقي والمجازي، وهو لا يخلو من العرفية في يوميات ساكني الصَّحراء، وقصص الصعاليك في العصر الجاهلي خير دليل على ذلك، فقد ارتبط هذا الفعل بنسق الرفض.

فالمجتمع القبلي يدرك جيدا نسقية الهروب، باعتباره نسق مضمّر أسهم في بناء الأسطورة العربية التي اختلفت صورًا ميتافيزيقية للهروب في قصص الشنفرى وغيره.

والشاهد في رواية (ليلة هروب فجرة) هو نسق الهروب الذي ابتلع كل الأنساق، عند ما تحول

1 إمرئ القيس الديوان، تح حسن الشدوبي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية والنشر، بيروت، لبنان، ط 5، 2004، ص 117

2 أبو الطيب المتنبي، الديوان، تح أحمد بن الحسين بن عبد الصمد، دار بيروت للطباعة لبنان، ط 4، 1983، ص 132

3 مرسيا إليا المقدس والمدنس، تر، عبد الهادي عباس، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، 1988، ص 30

هذا النسق من نسق فحولي ارتبط بالمنجز الذكوري إلى نسق فحولي أنثوي يخترق الطابوهات التقليدية التي جعلت من الأنثوي مجرد متاع للرجل، وهي الثقافة ذاتها التي ترسخت في ظل النظام الباطريائي. وأما كلمة (فجرة) التي هي جزء من الجملة الثقافية ليلة هروب فجرة أو هذه ليلة هروب فجرة إن قرأناها في مستواها النحوي، فإننا سنجد أنفسنا أمام دلالة الشخصية في هذه الرواية، كقاعدة أساسية مرتبطة دلالياً بمفهوم البيئة الصحراوية، أي أن الشخص الصحراوي غالباً ما يتطلع إلى التمرد بحكم قساوة البيئة وصعوبة الظروف المعيشية، التي قد تخلق منه كائناً متمرداً، وهو ما أقدمت عليه (فجرة) لَمَّا أوصدت الأبواب في وجهها، فركبت المغامرة لكي تكسر العرف لعلها تصل إلى الفجر الذي قيل عنه :

(وعند الصباح يحمد القوم السرى)، وهو مثل عربي قديم، تتمنى من خلاله (فجرة) الخلاص، وبزوغ فجر جديد كما أن ثقافة التسمية في المجتمع الصحراوي لا تأني اعتباراً، بسبب البيئة الاجتماعية المغلقة التي تتفاعل مع البيئة الإيكولوجية بمفهوم المحاكاة، وهو الشيء الذي تمليه ثقافة التجدد، بمعنى أن (فجرة) هي الفجر الذي يتجدد معه الأمل، وهو اسم لا تغيب عنه الشمس، يرفض نسق الظلام والخوف والهلاك، ومن خلال تحليلنا للعنوان (ليلة هروب فجرة)، يتبين لنا أن العنوان لا يعد وصف لحدث عابر بل يحمل شحنة رمزية عميقة، تجسد تحولاً جذرياً في مصير شخصيات نسائية قررن كسر قيد الواقع والانفلات من منظومة القيم التي وسمن فيها بالفجور، فالليلة ترمز إلى لحظة مفصلية تتجاوز الزمان والهروب يعبر عن فعل مقاومة وتمرد، بينما فجرة تعري خطاب السلطة الأخلاقية، التي تضع المرأة الخارجة عن الطاعة في خانة الإدانة، فمن خلال هذا العنوان تفتح الرواية باباً لفهم أوسع لحكايات نساء

يسعين إلى إعادة تعريف ذواتهن ، خارج قوالب العار والممنوع، ما يجعل العنوان عتبة تأويلية توجه القارئ نحو قراءة النص من منظور تحرري نقدي.

ب - نسق المكان :

تجاوز المكان في الرواية الجزائرية المعاصرة بُعدَه الجغرافي الجامد، إلى كونه مجالاً ثقافياً يعكس خلفيات المبدع الإيديولوجية والثقافية، " فالمكان ليس عنصراً زائداً في الرواية، فهو يتخذ أشكالاً، ويتضمن معانٍ عديدة، بل لأنه قد يكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل كله"¹.

إذ ينصاع الكاتب فيه لهذه الخلفيات، وفق سلطة نسقية، فهو " كان وما زال يلعب دوراً مهماً في تكوين الكيان الاجتماعي، وفي التعبير عن المقومات الثقافية ..، وفي الوقت الراهن يعد المكان إشكالية إنسانية، إذا ما اغتصبت أو إذا ما حرمت منه الجماعة أو احتكرته أقلية معينة من البشر فإنه يكتسب قيمة خاصة ودلالة مأساوية"². وهذا ما تناوله الكاتب أحمد زغب في روايته "ليلة هروب فجرة" من خلال قدرته الإبداعية في إظهار الجماليات المتواترة في الرواية، وبروز المكان الذي له علاقة حسية بالقاري، فقد اختلف بين أماكن مفتوحة وأخرى مغلقة مثل: البادية، والقرية وواحات النخيل مع الإشارة إلى المدينة والدكاكين، والمستشفى..

1 حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء ، الزمن ، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2009، ص 33

2 اليامين بن تومي، رواية زنباية، دار لوسيل، الدوحة، قطر، ط1، 2018، ص 10

المدينة: وهي الصورة الكاملة، والتعريف المثالي للمكان المفتوح، لما تملكه من تنوع في مظاهرها الحياتية، فهي مفتوحة لكل الناس بعاداتهم وتقاليدهم وثقافتهم وأجناسهم، ولقد ظهرت المدينة بصورة غير مباشرة في الرواية التي نحن بصدد دراستها، فقد جاء ذكرها يقول الكاتب: "الحاج الحفناوي" تاجر التمور الذي يسوق منتجاتهم ومنتجات القرى المجاورة في سوف إلى المدينة وربما إلى التل¹. وقوله أيضا "باكي تسرع إلى البيت تساعد أمها، وتنتظر قدوم والدها الحفناوي من المدينة لعله لا ينسى هذه المرة أن يشتري لها الحرام، الذي طلبته بمناسبة العيد الكبير"²، ومن هنا نلاحظ أن المدينة تلعب دورا بارزا في حياة الشخصيات فهي المكان الذي يعبر عن المكانة الاجتماعية والاقتصادية وهو المكان الذي تجلب منه كل حاجياتهم، فكل شيء، متوفر في المدينة، وكأنها مكان لتحقيق الأمنيات ومركز التجارة، إذ أنه المكان الوحيد الذي يوجد فيه السوق وحيث ما كان الشوق كانت التجارة، كما أن المدينة تمثل سلطة مركزية بين القرى والبوادي، وهذا ما لاحظناه من قول الروائي أحمد زغب "أما الفارس المنفرد فقد توجه إلى بيت طالب العروس المقدم، والشيخ المكلف من قبل القايد، والجهة الحاكمة في المدينة، ينقل انشغالات القرية"³. وبالتالي فهي عامل مؤثر الأحداث التي تقع في القرية والبادية، والأماكن الأخرى، وهذا التأثير غالبا سببه السلطة الحاكمة آنذاك أو في تلك الفترة، والملاحظ أن المدينة في رواية **ليلة هروب فجرة** لا تظهر فقط كفضاء جغرافي، بل تتجلى كرمز للهوية المتغيرة، والاعتراب، والتقاطع بين التقليد والعدالة، كما تمثل المدينة، بخلاف الفضاء البدوي أو الصحراوي مكانا يحاول فيه الفرد أن يتحرر من القيود الاجتماعية.

1 أحمد زغب، رواية "ليلة هروب فجرة"، سامي للطباعة والنشر والتوزيع، ولاية الوادي الجزائر، د ط، 8 مارس 2017، ص 2

2 الرواية، ص 3

3 الرواية، ص 42

لكنه في ذات الوقت يواجه تحديات جديدة ومعقدة، ويتجلى النسق المكاني في المدينة ضمن رواية ليلة هروب فجرة الكاتب الجزائري أحمد زغب كنسق معقد ومفتوح على التحول، حيث لا تمثل المدينة مجرد فضاء، حضري، بل رمزاً للهوية المتزعزعة، والصراع بين التقاليد والحداثة، والانفصال عن الجذور، فهي فضاء يجمع بين الأمل في الانعتاق من القيود القبلية، وبين التحديات الجديدة التي تواجه الفرد، خاصة المرأة في بيئة حضرية لا تقل قسوة عن الفضاء البدوي، وهكذا فإن المدينة في الرواية تؤدي دوراً مزدوجاً، فهي تمثل فضاء للتحرر الظاهر والضياع الداخلي، مما يعكس بعمق مأزق الإنسان العربي المعاصر في بحثه عن الذات وسط تحولات المجتمع والثقافة.

- القرية :

تجسد القرية كمكان مركزي يعكس التوتر بين التقليد والحداثة، فالقرية في رواية ليلة هروب فجرة تبرز الصراع بين المجتمع القروي، والمجتمع البدوي، كما أن أحداث الرواية تدور أحداثها في بيئة صحراوية حيث يمثل مجتمع النخلة، القروي المستقر، الذي يعيش فيه ملاك النخيل وتجارها، مقابل مجتمع أولاد حامد البدوي المتنقل، الذي يعتمد على الرعي والترحال، وهذا التباين بين المجتمعين يسهم في تشكيل الإطار الثقافي والاجتماعي للرواية، ويظهر تأثير البيئة على الشخصيات والأحداث، والقرية كمفهوم هي مكان تحده حدود جغرافية، قد يكون جبال أو غابات وغيرها، يمارس سكانها الزراعة في حياتهم اليومية، وحياتهم بسيطة وشاقة في نفس الوقت وقد ظهرت في الرواية عدة قرى ذكرها الكاتب في روايته، منها: " قرية النخلة " على بعد ستة كيلومترات، والخبنة أكثر من ذلك بقليل، هاتان القريتان زراعتان، تحيط

بهما غيطان النخيل من كل ناحية، ومعظم قاطنيها من ملاك النخيل"¹، فهذه القرى هي في الأصل عبارة عن واحات نخيل يسكن بداخلها أو بجانبها، ولها نفس خصائص القرى، فسكانها يشتغلون بزراعة النخيل ومختلف الخضر والفواكه، وهذا ما جاء في شعور أهل البدو اتجاه أهل القرى، حين قال عنهم الكاتب أحمد زغب: " لا شك أنهم ينظرون إلى جيرانهم من أهل الحواضر بشعور فيه شيء من الحسد على غلة التمور المتوافرة لديهم ، والخضر، وأشياء أخرى "²، وقد جاء ذكر القريتين من أجل تحديد موقع البادية ريع باغام ، ويأتي ذكر الروائي أحمد زغب " والقرية قريبة من هنا، حيث يحصلون على شيء من يابس تمور السنة "³ كما ذكرت قرية الرِّبَّاح وقرية العُقلة في قول الكاتب: (الشيخ الحسين طالب) النخلة والخبنة الذي يستغثيه الناس حتى من القرى المجاورة، مثل: العُقلة والرِّبَّاح وغيرها "⁴، ويتجلى النسق المكاني في القرية ضمن رواية (ليلة هروب فجرة)، بأنها ليست مجرد مكان جغرافي، فهي تمثل فضاء اجتماعيًا وثقافيا، ورمزيًا يُسهم في تشكيل الأحداث، وتحديد مصائر الشخصيات، من خلال تحديد دور القرية في الرواية، نتمكن من فهم أعمق للمعاني الثقافية والاجتماعية التي يُرادُ إيصالها، ونوضح التباين الذي يبرز تأثير البيئة الاجتماعية والمكانية على العلاقات الإنسانية ، خاصة في سياق الحب الممنوع في مجتمع ذكوري، لا مكانة للمرأة فيه، ولا احترام لمشاعر الحب المتبادلة بين العشاق، وعليه فالقرية في الرواية تمثل شخصية فاعلة لها صوت وسلطة ونفوذ، يتجلى من خلالها الصراع بين القديم والجديد بين الانتماء والتمرد، بين الذكر والأنثى، وبين الاستقرار والهروب.

1 أحمد زغب ، رواية " ليلة هروب فجرة " ص 2

2 الرواية ، ص 2

3 الرواية ، ص 2

4 الرواية ، ص 2

- البادية: (ريع باغام).

البادية هي منطقة جغرافية، تتميز بكونها صحراء أو شبه صحراء، يعيش فيها الناس نمط حياة بدوي يعتمد غالبا على الرعي والتنقل، بحثا عن الماء والكلأ، ويطلق مصطلح البادية أيضًا على المجتمعات التي تسكن تلك المناطق، وتمارس نمط حياة بدوي تقليدي، وقد تحدث الكاتب الروائي أحمد زغب في روايته (ليلة هروب فجرة) عن البادية، ووصف نمط عيش سكانها، وخص بالذكر أهل بادية "ريع باغام"، وهم من البدو الرحل، الذين يجوبون الصحراء ذهابًا وإيابًا، ويتبعون مصادر الأمطار والكلأ لمواشيهم، فهم يعتبرون أن الصحراء موطنهم الطبيعي، كانوا يعيشون حالة غير مستقرة بسبب ظروف الطبيعة القاسية " الأمر الذي يشير إلى أن أطالوا المكث في منطقة باغام الرملية، التي يكثر فيها العشب وبها آبار قريبة وبعيدة، ومياها غزيرة"¹. فقد ذكر الروائي كل ما يحتاجه البدوي للعيش رغم أن منطقة باغام رملية، إلا أن بها مياه غزيرة تنبع من الآبار، كما يكثر بها العشب، الذي هو مصدر الكلأ للمواشي فقد أطال سكان البدو الرحل المكوث فيها، مما يدل على حالة الاستقرار المؤقتة، كما أن سكان بادية ريع باغام قضيتهم تطرح إشكالية الانتماء، باعتبارهم قوما بلا أرض، ونجد هذا في قول الكاتب: " بل لأنهم لا يملكون أرضًا، إذا عاقهم الروامي"²، فهم لا يمتلكون مكانا محددًا، وذلك بسبب حياة الحِل والترحال فنجد الكاتب قد ذكر لنا وصور تصويرا حقيقيا لصعوبة العيش والحياة غير المستقرة لأهل البادية في تلك الفترة بلا انتماء ولا أرض، ويتجلى النسق المكاني في البادية ضمن رواية ليلة هروب فجرة لأحمد زغب كعنصر مركزي يسهم في بناء الدلالات الرمزية والثقافية للنص الروائي من خلال تحليل الفضاء

1 أحمد زغب، رواية " ليلة هروب فجرة " ص 2

2 الرواية ، ص 45

البدوي، فيمكننا فهم الصراعات الداخلية والخارجية للشخصيات، والتوتر بين التقليد والحدثة، والرغبة في التحرر والتغيير، وتعتبر البادية في الرواية نقطة انطلاق لشخصية فجرة نحو التغيير والتحرر ويعبر الهروب من الرغبة في التخلص من القيود الاجتماعية والثقافية، والبحث عن هوية جديدة تعبر عن الذات بعيدا عن ضغوط المجتمع التقليدي، وعليه فالفضاء البدوي ليس مجرد مكان جغرافي، بل هو حامل للرموز الثقافية والدينية التي تؤثر في الوعي الجماعي، وتحدد سلوك الأفراد، وتساهم في بناء شخصية جديدة لهم لا تغيب عنها الشمس، وهنا دلالة على التخلص من ظلام القيد والانطلاق إلى نور التحرر من كل القيود الاجتماعية والثقافية .

السوق :

يشير السوق إلى المكان أو البيئة، التي يتم فيها التقاء البائعين والمشتريين، لتبادل السلع أو الخدمات مقابل المال، وفي رواية ليلة هروب فجرة يجسد نسق السوق في المجتمع التقليدي الجزائري كأحد الأنساق الثقافية والاجتماعية، التي تساهم في تشكيل هوية الأفراد، وتحديد مكانتهم داخل المجتمع، فالسوق في وادي سوف يعتبر موروث حضاري، ومنتفص تجاري للسكان، وهذا ما نلمسه في قول الكاتب: " لكنه في أيام الخريف هذه لا يتسع إلى غير سوق التمور يبيع بالجملة إلى تجار الشمال والمصدرين إلى الخارج بكميات كبيرة" ¹ فالسوق في الرواية، يظهر لنا كنقطة ارتكاز اقتصادية وتجارية، التي من خلالها يتم تسويق منتجات سكان القرى والبوادي " وفي القرية المجاورة الخبنة يستريح الناس من عناء الخريف، بعد أن جنوا غلتهم، ووضعوها في صناديق واستأمنوا عليها الحاج الحفناوي تاجر التمور الذي يسوق منتجاتهم ومنتجات القرى المجاورة" ². كما يشتركون منه حاجاتهم المختلفة ونجد ذلك في الرواية من خلال

1 أحمد زغب، رواية " ليلة هروب فجرة " ص 4

2 الرواية، ص 2

انتظار فجرة عودة أبيها من سوق المدينة، ونلمس ذلك في قول الكاتب: " وهي تعلم أن أباها عاد لتوه من سوق المدينة ... تتخمر باكي بالحرام بعد أن أصرت على قياسه" ¹، ويتجلى النسق المكاني في السوق ضمن رواية ليلة هروب فجرة، كعنصر مهم في بناء الفضاء المكاني، فهو لا يجسد فقط كمكان للتبادل التجاري، بل كفضاء اجتماعي وثقافي، يعكس التقاليد والأنساق الاجتماعية السائدة في المجتمع التقليدي الصحراوي، فهو يعد مسرحًا للصراع والتغيير، ويساهم في إعادة تشكيل القيم والتقاليد في المجتمع.

البيوت:

البيت هو المكان الذي يسكن فيه الإنسان، ويوفر له الحماية والأمان والاستقرار، ويعتبر مركزا للحياة العائلية والمودة، والبيت في رواية ليلة هروب فجرة كان ظهوره خافتا، إلا أنه كان عنصراً مركزياً في بناء السرد، حيث يتجاوز كونه مجرد فضاء مادي، ليصبح رمزا للهوية الثقافية والاجتماعية، ويعكس التوتر بين التقاليد والحدثة، من خلال شخصية فجرة التي تسعى للهروب من القيود الاجتماعية، والكاتب صور لنا هروبها من البيت إلى قرية أولاد حامد بقوله: " تواصل سيرها مرة جرياً ومرة مشياً، وتدعو الله أن يكون طريقها في الاتجاه الصحيح إلى خيام منطقة باغام" ². وقول الكاتب: " باكي هربت إلى حيث قبيلة أولاد حامد متحدية أباها، وسلطته، ومتمردة على قراره الحازم بتزويجها من العرياوي" ³. نلمس هنا صراع بين البقاء والهروب، وبين التقيد بالسلطة الأبوية الظالمة، والتحرر والهروب والتمرد على القرارات الظالمة ففجرة فتاة محبة للحرية، تعيش في بيت مقيد بالعادات والتقاليد البائسة، وتطمح للعيش في بيت

1 أحمد زغب، رواية " ليلة هروب فجرة " ص 4

2 الرواية ، ص 82

3 الرواية ، ص86

متحرر بلا قيود، ويتجلى النسق المكاني في البيت ضمن رواية ليلة هروب فجرة كعنصر مركزي يعكس البنية الاجتماعية والثقافية للمجتمع الصحراوي، فهو ليس مجرد فضاء مادي، بل حامل للرموز الثقافية والاجتماعية التي تحدد هوية الأفراد وتوجهاتهم وهو حيز مشبع بالرموز التي تعكس القيم والعادات والتقاليد السائدة في المجتمع الصحراوي، فالبيت مركز للسلطة العرفية، حيث تمارس فيه الطقوس الاجتماعية وتتخذ القرارات المصيرية التي تؤثر على حياة الأفراد وتوجهاتهم.

- المسجد:

المسجد هو دار للعبادة، وتقام فيه الصلوات الخمس المفروضة، وغيرها من العبادات والنوافل وقد تميزت منطقة وادي سوف بكثرة مساجدها، والمحافظة على الصلاة، والمواظبة عليها في المساجد وسمي المسجد مسجداً لأن صلاة المسلمين ترتكز على السجود لله تعالى، مصداقاً لقوله: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ۗ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ۗ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۗ ﴾ (18) "1. وفي رواية " ليلة هروب فجرة " يعتبر المسجد فضاء ذا دلالات ثقافية واجتماعية عميقة، حيث يجسد مركزاً روحياً ومجتمعياً في حياة سكان الصحراء الجزائرية، وتظهر الرواية كيف يمثل المسجد مرجعية ثقافية ودينية، ويستخدم كأداة للسلطة الاجتماعية من خلال الطقوس والشعائر التي تمارس فيه، وقد ذكر المسجد في مواطن عدة في الرواية، حينما قال الكاتب: " ربما تفرغ الطالب لتقليم غرسات النخيل في باحة المسجد قريباً من الكتاب أو المدرسة القرآنية " 2، فقد وظفه الكاتب ليبين مكانته عند الأهالي، فهم يعتبرون خدمة بيت الله أمر مقدس

1 سورة الحج، الآية 18 .

2 أحمد زغب، رواية ليلة هروب فجرة، ص 12

وفيه البركة، وتجد توظيف المسجد في قول الكاتب: " لأن صبيحة يوم الجمعة ضيقة، وفي هذا اليوم الذهاب إلى سوق المدينة، وفيه الصلاة الأسبوعية الواجبة جماعياً، في المسجد الجامع " ¹. ويبين لنا الكاتب من خلال قوله قدسية المسجد عامة عند القرويين والبدو، وكذلك توضيح العادات الممارسة يوم الجمعة، حيث تعتبر الصلاة من الأولويات في هذا اليوم المبارك، وهذا دليل على التدين والإيمان، كما يبرز المسجد العرف السائد لدى أهالي سوف، وهو عقد قران الزواج فيه ونلمس هذا في قول الكاتب:

" اجتمع الرجال في المسجد بعد عصر هذا اليوم الخميس، لعقد قران الشاب عامر بن الحفناوي على الفتاة يمينة بنت الشيخ ميلود الشاسي" ². وهذا يبرز الاعتقاد السائد لأهالي واد سوف في بركة بيت الله، حتى ينجح الزواج، كما أن وجود المسجد دليل على الاستقرار، وهذا ما نلاحظه من خلال قول الكاتب: " لم يكن لربيع أولاد حامد جامع ولا كتاب" ³ ، وذلك لعدم استقرارهم بسبب حياة الحل والترحال التي كان يعيشها سكان أولاد حامد، وتظهر الرواية كيف يستخدم المسجد كأداة لتكريس الأعراف الاجتماعية، ويسهم في إبراز الصراع بين الأنساق الثقافية التقليدية، ومحاولات التغيير والتمرد عليها، ومن خلال هذا الفضاء يمكن ملاحظة كيف تتداخل الأبعاد الدينية والاجتماعية، مما يعزز من فهمنا للتركيبية المعقدة للمجتمع الصحراوي في الجزائر، وبالتالي لا يعتبر المسجد في الرواية أكثر من مجرد مكان للعبادة فحسب بل هو رمز للسلطة الثقافية والاجتماعية، التي تؤثر في حياة الأفراد وتوجهاتهم والمسجد في الرواية يمثل المكان الثابت الدال على استقرار الأهالي، كما يمثل الفضاء الذي يمارس من خلاله سلطة رقابية على الأفراد، ليس دينياً فقط، وإنما اجتماعياً.

1 أحمد زغب، رواية "ليلة هروب فجرة" ص 41

2 الرواية، ص 26

3 الرواية، ص 34

الخيمة : الخيمة هي مأوى يصنع عادة من القماش أو الجلد، ويقام على أعمدة، وتستخدم للعيش المؤقت أو الحماية من الشمس والمطر، خصوصا في " الصحاري والمناطق الريفية، وترمز الخيمة إلى الحياة البدوية، والكرم، والتقاليد الأصيلة في المجتمعات العربية، خصوصا في الجزيرة العربية، وشمال إفريقيا¹. وتعد الخيمة رمزا من رموز التراث الشعبي، الذي ميز أهل البدو، وسكان الصحراء، وحدد خصوصيتهم، في الحل و الترحال حسب الحاجة والظروف التي يحددها المرعى و المشرب والأمن، وقد وظفها الكاتب أحمد زغب في روايته ليلة هروب فجرة، لكون الخيمة مكان للسكن المتنقل للمجتمع السوفي قديما في البوادي، ونلمس ذلك في قوله: " الخيام متباعدة ، والحواجر أمامها متماسكة إلى درجة أنها أصبحت تشبه الجدران، الأمر الذي يشير أن القوم أطالوا المكث في منطقة باغام الرملية، التي يكثر فيها العشب، وبما آبار قريبة وبعيدة، ومياهها غزيرة "²، والخيمة مركز حضاري وموروث ثقافي واجتماعي كما أنها جزء لا يتجزأ من الهوية الصحراوية، وقد تجاوزت الخيمة دورها كملجأ للصحراويين من قساوة الطبيعة، وأصبحت نموذجا للكرم والاستقرار والبساطة، وغالبا ماتحتوي الخيمة على إطارات من حديد أو خشب تسمى الوتد استناد لقوله تعالى: ﴿ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴾ (10) "3، وقوله: ﴿ وَالْجِبَالِ أَوْتَادًا ﴾ (7) "4، فالجبال تعتبر أوتاد الأرض، كذلك الخيمة لا بد لها من أوتاد ترتكز عليها، تكون مضادة للرياح، ويثبت عليها الغطاء من القماش، يتم صناعته بعدة أشكال ومقاسات، وتأتي الخيمة في الرواية كمركز إداري، في قول الكاتب: " طفل يافع يخرج من الخيمة الكبيرة، ويصبح متجها نحو خيمة عمي رابح التي نصبها

1 الخيمة التقليدية www.culture gat ، من موقع أطلع عليه بتاريخ 2025/05/2 على الساعة 17:15

2 أحمد زغب، رواية " ليلة هروب فجرة "، ص 41

3 سورة الفجر، الآية 10

4 سورة النبأ، الآية 07

بعيدا عن بقية الخيام¹، حيث يجتمع فيها كبار القبيلة، ويتدارسوا المشاكل والقضايا العالقة لقضية عايش وفجرة، وكأنها قضية سياسية تهم مستقبل القبيلة، وعلاقتها مع جيرانها، كما أن الخيمة تعد مكانا للخصوصية والاجتماعات العلنية والسرية، وهذا ما نلاحظه في قوله: " اجتمع القوم في خيمة الشيخ مبروك، وهو شيخ ماتت عجوزة منذ مدة، ولذا فخيمته منعزلة عن الخيام فكان الاجتماع السري لا تلائمه إلا خيمة الشيخ مبروك"².

فخيمة الشيخ مبروك تمثل الأمن والسرية بالنسبة لشيوخ أولاد حامد، فهم يجدون راحتهم فيها، ويتجلى النسق المكاني في الخيمة ضمن رواية ليلة هروب فجرة كرمز ثقافي و مكاني غني بالدلالات، حيث يشكل فضاءً مركزياً يعكس واقع المجتمع الصحراوي التقليدي، وتجسد الخيمة في الرواية فضاء بدويا يمثل مركزاً للعيش والتجمع، وتستخدم كمكان للحديث عن القيم والعادات والتقاليد. وتظهر الرواية أن الخيمة ليست مجرد مأوى، بل هي مركز حياة اجتماعية وثقافية، حيث تناقش فيها قضايا الزواج والحقوق والواجبات، كما أنها تعد مكانا لنقل التراث الثقافي والحفاظ عليه، فهي بالتالي مكان للتواصل والتفاعل بين أفراد المجتمع.

وعليه فالخيمة تعتبر عنصراً مركزياً يعكس مختلف جوانب الحياة في المجتمع الصحراوي التقليدي وتستخدم كأداة للتعبير عن الصراعات الثقافية والاجتماعية وحتى النفسية.

1 أحمد زغب، رواية " ليلة هروب فجرة "، سامي للطباعة والنشر والتوزيع، ولاية الوادي، الجزائر، 8 مارس 2017، ص 31

2 الرواية ، ص 65

المستشفى :

المستشفى هو مكان لتقديم خدمات الرعاية الصحية، ويستخدم المستشفى في السياق الأدبي كزمر غني بالمعاني، يتجاوز دوره الفيزيائي كمكان للعلاج، ليحمل دلالات إنسانية ونفسية وفلسفية عميقة، وهذا ما لاحظناه في رواية **ليلة هروب فجرة لأحمد زغب**، فالمستشفى في الرواية يمثل لحظة تحوّل أو نقطة مفصلية في حياة الشخصيات، حيث يمكن أن يكون مكانا للشفاء الجسدي والنفسي، أو مسرحا لصراعات داخلية وخارجية، فهو ليس مكانا للعلاج فقط، بل هو أيضا فضاء للتأمل والتفكير، وقد وظفه الكاتب في روايته على أنه مكان للاستشفاء والعلاج، وذلك في قوله: " وبعد فترة زمنية لم تطل، وصلت سيارة الجيب، يقودها العساكر، وحملت عايش إلى المستشفى العسكري "¹، نلاحظ أن الكاتب هنا لا يروي مجرد حادثة، بل يلمح إلى واقع أعمق، حيث الأفراد يصبحون في لحظات المصير، جزءا من سردية أكبر تكتبها الدولة، وتحكم فيها السلطة، فالمستشفى ظهر بصورة عدائية بالنسبة لأهالي وادي سوف وهذا نظرا للثقافة التي رسمها الاستعمار الفرنسي آنذاك بالتجهيل والتفجير وأن من يذهب إلى المستشفى يعود ميتا ومن الممكن أن نقول أن هذا البعد قد ظهر في قول الكاتب **أحمد زغب**: " لا تعود الناس أن يتزين العريس ... كانت فجرة أول عروسة في تاريخ هذه المناطق الصحراوية، تدخل على عريسها في وضح النهار.... وتقع والدتها أمام غرفة المستشفى تنتظر الخبر "².

فالمستشفى كان وسيلة لا أكثر لإتمام الزواج بين فجرة وعايش فالمصلحة هي التي حكمت الوضع، والمعنى هذا أن خوف عائلة **فجرة** من موت **عايش** هو سبب الاستعجال، خوفاً منهم

1 أحمد زغب، رواية " ليلة هروب فجرة "، ص 119

2 الرواية ، ص 120

من موت (عائش) ويترك (فجرة) أرملة ، أحسن بكثير من تركها دون زواج بفضيحتها، وهذا يبين عدم اهتمامهم بالمكان الذي تزف فيه العروس، بقدر ما كان يهمهم إتمام عملية الزواج، فلا يهم المكان، لأن الشرف والعرض أهم شيء عند أهالي وادي سوف.

ويتجلى النسق المكاني في المستشفى ضمن رواية ليلة هروب فجرة بكونه ليس مجرد فضاء طبي، بل هو عنصر مكاني ذو دلالة رمزية عميقة، من خلاله يعبر الأفراد عن صراع الأنساق الثقافية والاجتماعية كما يظهر كيف يمكن للفرد أن يعيد هويته، داخل فضاءات غير مألوفة .

نستخلص من خلال ما ذكرناه، حول تجليات النسق المكاني في رواية ليلة هروب فجرة وتعدد الأماكن المفتوحة والمغلقة في الرواية (المدينة، القرية، السوق، البيت، المسجد، البادية، الخيمة، المستشفى)، فمن خلال هذه الأماكن يعكس الكاتب (أحمد زغب) في روايته التوتر بين التقاليد والحداثة، وبين المجتمعات المستقرة والبدو الرحل، وبين القيم الدينية والاجتماعية.

وتسهم هذه الأمكنة في تشكيل هوية الشخصيات، وتوجيه مسار الأحداث، مما يجعل النسق المكاني عنصرا أساسيا في بناء الرواية، فهو يشكل بنية سردية عميقة تعكس التحولات الاجتماعية والثقافية التي يمر بها المجتمع الجزائري بين البداوة والحضر، والتقليد والحداثة، فكل مكان من الأمكنة الواردة - من المدينة إلى المستشفى - ليس مجرد فضاء جغرافي، بل هو حامل دلالي يعكس صراع الشخصيات وتطلعاتها.

ويبرز التباينات الطبقيّة والثقافية، وهكذا تصبح الأمكنة شريكة في السرد، تُضيء أبعاد الهوية، وتكشف عن عمق التحول الاجتماعي والثقافي في المجتمع الجزائري بين الأصالة والتغيير.

ج - نسق الزمان :

الزمان هو البعد الذي تنتظم فيه الأحداث، ويمنحنا القدرة على ترتيب الأشياء، وتحديد موقعها من حيث متى حدثت، وفي رواية ليلة هروب فجرة يظهر تأثير الزمن في تشكيل الأحداث والشخصيات، فالزمن في الرواية ليس مجرد خلفية للأحداث، بل هو عنصر فعّال يسهم في بناء المعنى، وتطوير الشخصيات ويلاحظ أن الزمن يتداخل بين الماضي والحاضر، مما يضيف عمقا في الصراع الداخلي والخارجي للشخصيات، هذا التداخل الزمني يظهر كيف أن الأحداث الماضية تؤثر في الحاضر، وتشكل مسارات الشخصيات، لفظة " ليلة " في عنوان الرواية تحمل دلالة زمنية واضحة ومركبة، وتتجاوز مجرد الإشارة إلى وقت معين من اليوم، فالليل قد يرمز إلى الهروب، والخوف، والسرية، أو التحول، وفي سياق عنوان الرواية ليلة هروب فجرة، لفظة ليلة توحى بزمن يعج بالتوتر، وربما بالخطيئة والتمرد على تقاليد بائسة كان يعيشها المجتمع الصحراوي آنذاك، ونلمس هناك مقابلة ضمنية بين الليل والفجر، فوجود لفظة (فجرة) بعد لفظة (ليلة) في العنوان قد يظهر تقابلاً بين الظلام والنور والتقيد والتحرر، والخوف والأمل، وهذا كله يعمق البنية الزمنية، ويمنحها بُعداً رمزياً أيضاً، وهروب فجرة في الليل له رمزية زمنية، فهذا الهروب يحمل في طياته التحول، والانفجار الدرامي، والانفلات من قيود النهار والواقع والتحرر من العادات والتقاليد البائسة، ونجد في الرواية استخدام الكاتب (أحمد زغب) في روايته دلالات زمنية ، كقوله: " فهم يتظللون بشجرة الطرفاء الوارفة الظلال في هذا الخريف ذي النسيم المنعش"¹.

فلاحظ حضور النسق الزمني في هذا القول من خلال ذكر فصل الخريف، وتحديد الزمن المرتبط بالحدث، كحركة القبائل، وتنقلهم من مكان إلى آخر.

1 أحمد زغب، رواية " ليلة هروب فجرة "، ص 2

كما نجد النسق الزمني في الرواية قد تجسد في تغير العصر، وأحوال الناس، وتغيير كل المعايير والموازين، وتلمس ذلك في قول الكاتب: " العصر تغير والناس تغيروا، وكل المعايير تغيرت"¹. فالكاتب هنا من خلال قوله يعكس تحولاً جذرياً في القيم الاجتماعية والثقافية، خاصة فيما يتعلق بمكانة المرأة في المجتمع، فالرواية تسرد قصة الفتاة (فجرة)، الفتاة القروية التي ترفض الزواج من ابن عمها، وتفر هاربة إلى عشيقها (عايش)، متحدياً بذلك الأعراف والتقاليد السائدة في المجتمع الصحراوي آنذاك وبالتالي فالقول: (العصر تغير والناس تغيروا، وكل المعايير تغيرت) يجسد هذا التحول العميق في القيم والمفاهيم ولفظة (العصر) في حد ذاتها لها دلالات متعددة، فهي لا تعني فقط الزمن والتحول التاريخي والاجتماعي والثقافي فحسب، فمعناها في الرواية هو نقد للواقع القديم، وتعبير عن حاجة ملحة للتجديد والانفتاح بمعنى آخر العصر، يمثل الحاضر المتغير، في مقابل الماضي الجامد، وهو ما جسده (فجرة) بهروبها من واقعها التقليدي، وقد وردت كلمة (العصر) في القرآن الكريم، في قوله تعالى: "(والعصر) (1) إن الإنسان لخبث خسر (2)"² ومعنى الآية هنا على الإنسان يستغل الوقت والزمن فيما ينفذ، ولا يضيع الفرص المتاحة لتقاضي الخسران المبين، ونلاحظ أن الفتاة (فجرة) استغلت الفرصة متحدياً كل العرف والتقاليد للظفر بعشيقها (عايش)، حتى ولو كلفها ذلك حياتها، وفي الأخير قد تحقق مرادها رغم صعوبة الموقف والفضيحة التي أحدثتها، وعليه يمكن القول أن النسق الزمني في الرواية، يتجلى في تجسيد عمق صراع الفرد مع الزمن والتقاليد، حيث استخدم النسق الزمني كأداة فنية تبرز التحولات النفسية والاجتماعية في مجتمع يعيش بين شد الماضي، وجذب الحاضر، ومن خلال توظيفه المتميز للزمن، يعيد الكاتب

1 أحمد زغب، رواية "ليلة هروب فجرة"، ص 38

2 سورة العصر، رواية "ورش"، الآيتان: 1 و 2

بناء الواقع بأسلوب يجمع بين الرمزية والتوثيق، ليمنح القاري تجربة سردية نابضة بالحياة والوعي الجمعي.

د . نسق العادات والتقاليد :

تمثل العادات أنماط سلوكية متكررة، يعتاد عليها الأفراد في مجتمع معين وتكتسب من البيئة

الاجتماعية والثقافية، في حين التقاليد تمثل ممارسات وأفكار ثرة من جيل إلى جيل، وتشكل جزءا من

الهوية الثقافية للمجتمع مثل: الاحتفالات، والأعراس، والطقوس الدينية أو اللباس التقليدي.

ويربط (محمد الجوهري) العادة بالتراث الشعبي المتوارث جيلا عن جيل، حيث يعرفها على " أنها مجموعة

من الأفعال والأساليب، والسلوكيات المكتسبة، والتي يتوارثها الخلف عن السلف، وترتبط بزمان ومكان

معين " ¹، في حين يعرف (رفيق جيب) التقاليد على " أنها النظام التطبيقي المتفق عليه من الناس، والذي

يؤدي إلى الاتساق بين أفعال الناس وبين بعضهم البعض، فالتقاليد بمثابة الدستور الذي يحقق النظام

الداخلي للمجتمع " ². وهاهي رواية (ليلة هروب فجرة) للكاتب أحمد زغب تبرز الأنساق الثقافية من

خلال تصويرها للطقوس والمعتقدات والرموز التي تشكل المجتمع، وتؤثر في سلوك الأفراد، مركزة على

التوتر بين العادات والتقاليد من جهة، والتمرد الفردي من جهة أخرى، من خلال شخصية (فجرة)، والتي

يُظهر فيها الكاتب كيف يمكن للفرد أن يعد تغييرا في المجتمع، من خلال تحدي الأعراف والتمسك بالحب

والحرية الشخصية، كما نلمس في الرواية حضور نسق العادات والتقاليد بشكل لافت، كاللباس التقليدي

المتعارف عليه في منطقة وادي سوف، حيث ظهرت في الرواية العديد من أزياء اللباس النسوي.

1 محمد الجوهري، علم الفلكلور، دراسات الانثروبولوجيا الثقافية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط2، سنة 1988، ص 68
2 رفيق جيب، في فقه الحضارة العربية الإسلامية، إحياء التقاليد العربية، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، د.ط، سنة 2003، ص 13

ونلمس ذلك في قول الكاتب: " لكن آهات الاستحسان والابتهاج صدرت بسبب خروج فتيات يرسلن فروعهن الطويلة والمنسدلة على الظهر، والكفتين، والحرام الأسود المزان بشرائط ملونة"¹، والحرام يقصد به هنا اللباس الخارجي الذي " يُصنَع من الصوف أو الكتان حسب الحالة الاجتماعية للمرأة، ويعرف أيضا بالحاك" ²، فاللباس المحلي لا يعبر عن هوية المجتمع فحسب، بل له القدرة على كشف العديد من القيم الاجتماعية، التي لا بد من المحافظة عليها، فهو لباس الحشمة، وستر العورة، خاصة بالنسبة للنساء، وقد ورد أيضا في الرواية اللباس التقليدي في الخاص بالرجال مثل: العمامة والسروال والسترة البيضاء، وغيرها، حيث يمثل هذا اللباس حضارة ورجولة الفرد السوفي في كل وقت وحين، ونلمس هذا في قول الكاتب:

" اشترى البدلة الأنيقة العامة والسروال القائم المزدان بخيوط بيضاء على الجانبية ... والسترة البيضاء كل من لاحظ لبسه للعمامة الأنيقة، لكنها مائلة قليلاً إلى اليسار فلو عدلها قليلاً لكان أحسن لكنه مصر أن يميلها ... ولا يعدلها كما يرتضي أقرانه من الشباب، وحتى الشيوخ الذين استحسنوا لف العمامة حول رأسه بهذه الأناقة"³، فالعمامة جزء من التراث الشعبي، وعادة يرتديها رجال واد سوف فهي لها أصول ضاربة في التاريخ توارثتها الأجيال جيلاً بعد جيل، ولا تزال تلبس إلى يومنا هذا عند الكبار والشيوخ، وكذلك في المناسبات والأفراح، وقد وظفها الكاتب ليبين لنا مدى محافظة مجتمعه على عادات الأجداد، وكونها رمز الرجولة والفحولة في مجتمعه ، كما أن العمامة يجب تكون مرافقة للسروال، والسترة البيضاء

1 أحمد زغب، رواية ليلة هروب فجرة، ص 24

2 لجباري عثماني، مظاهر من العادات الاجتماعية في اللباس والزينة لدى المرأة ، وادي سوف في أواخر الترتب 19م ، مجلة البحوث والدراسات الاجتماعية، عدد2، جامعة الوادي، نوفمبر 2013 ، ص189

3 أحمد زغب، رواية ليلة هروب فجرة، ص7

حتى يتشكل لباس شعبي تقليدي مكملاً لرجولة الفرد السوفي المحافظ على عاداته وتقاليد، ومن عادات وتقاليد الرجل السوفي هو ارتدائه للبرنوس، وهو عبارة عن معطف طويل من الصوف، يضم غطاء ورأس مُذنب وليس به أكمام، وهو جزء من اللباس التقليدي الجزائري، ووظفه الكاتب في قوله: " الرجل الكهل يرتدي جبة أنيقة وبرنوسا، وعمامته التفت على رأسه بعناية فائقة"¹.

وأراد الكاتب هنا تبيان تقاليد اللباس الرجالي لأهالي المنطقة، حيث يعتبر موروث ثقافي، فهو رمز الرجولة والشهامة والوقار، وكان يستعمله المجاهدون لإخفاء السلاح في تلك الفترة، كما أنه عادة يرتديها الرجل خلال زواجه في سهرة الحنة أو أثناء استقبال العروس، والرواية تزخر بالممارسات التقليدية مثل: رقصة الرداسي، وارتداء الحرام، وطقوس النّخ والزفاف، وحتى الأعراف المتعلقة بخطبة الفتيات ونلمس ذلك في قول الكاتب أحمد زغب: " طلبت من الخالة زينة أن تدق على القصعة، وتترنم بالرداسي حتى تُجرب النّخ بالحزام، وهي تقدم لها التوجيهات كيف يكون النخ على أصوله "²، وهناك عادة أخرى يقوم بها الشاب السوفي لإثبات رجولته أمام الفتيات، وهي حركات بهلوانية يطلق من خلالها البارود ونجد ذلك في قول الكاتب: " يمسك القاربيل، آلة إطلاق البارود، بيد واحدة، ويضع مقدمتها على القنار ويقوم بحركات رشيقة تسحر قلوب الفتيات اللاتي جنن خصيصة لرؤية المناظر الرجولية التي تشير إلى الفحولة التي تدغدغ أحلامهن الوردية"³، وكذلك من عادات وتقاليد أهالي واد سوف أن أعراسهم تدوم سبعة ليال بأكملها، ونلمس ذلك في قول الكاتب: " أهل العرس أخبروهم قبل موعد العرس بسبعة أيام كاملة،

1 أحمد زغب، رواية " ليلة هروب فجرة " ص 42

2 الرواية، ص 5

3 الرواية ص 5

دعوهم إلى العشاء هم وشيوخهم، فالعرس يدوم سبعة أيام، ليلة الثلاثاء والأربعاء والخميس ليالي متوالية للغناء، وإنشاد الشعر ليلاً للكبار، وللعزف على الزرنة، ولعب رقصة الزقايري، وإطلاق البارود نهاراً للشباب عايش وأقرانه¹.

من خلال الأمثلة المقتبسة من الرواية، نجد أن التقاليد والعادات تؤدي وظيفة اجتماعية لهندسة العلاقات وتقوية الانتماء، وتعكس الرواية منظومة هذه التقاليد البدوية والقروية المتجذرة، خاصة في طقوس الزواج، واللباس التقليدي، والرقص الشعبي، وطقوس النخ، وتعتبرها أدوات لتحديد الهوية والانتماء، وبالتالي نجد أن رواية (ليلة هروب فجرة) تقدم نموذجاً أدبياً غنياً في تصوير التقاليد والعادات وفي المجتمع الصحراوي مظهرة الصراع بين الأفراد والتقاليد، وتبرز كيف يمكن للأدب أن يكون وسيلة للتعبير عن التحديات الثقافية والاجتماعية، مما يجعل من الرواية نصاً أدبياً يحفز على التأمل والنقد الاجتماعي.

هـ. حضور التراث الشعبي في الرواية :

يعتبر حضور التراث الشعبي في رواية ليلة هروب فجرة في حد ذاته نسقاً ثقافياً، باعتبار أن التراث يمثل أصالة الشعوب، فالأمة التي لا تراث لها لا وجود لها، والتراث الشعبي نوعان: التراث المادي وهو الذي " يشمل رصيد التكنولوجيا والمصنوعات المادية لدى الجماعة البشرية، والتي تتضمن العناصر

1 أحمد زغب، رواية " ليلة هروب فجرة " ص 9

التي أنتجها الإنسان لأغراض الزينة، والفن والطقوس¹، ويشمل كذلك المباني، والمعالم الأثرية والأدوات، والفنون والملابس، والأسلحة، والقطع النقدية، والمخطوطات، وكل ما يمكن لمسة ورؤيته، وله قيمة تاريخية وثقافية، وهناك نوع آخر من التراث، وهو التراث اللامادي، وهو "التراث الحي الروحي للإنسانية"، ويشمل جميع الممارسات والتصورات، وكذا أشكال التعبير والمعارف والمهارات، وأشكال التعبير الحية الموروثة عن الأسلاف تناقلتها الأجيال كالتقاليد الشفوية، والفنون والطقوس والأحداث الاحتفالية المتعلقة بالحرف التقليدية².

ويشمل كذلك الحكايات الشعبية والأمثال والشعر والأغاني، والطقوس، والمناسبات الاحتفالية، والفنون الاستعراضية كالرقص والمسرح الشعبي، ويعتبر هذا التراث عاملاً مهماً في الحفاظ على تنوع الثقافات ومواجهة العولمة، فهو جزء أصيل من هوية الشعوب وذاكرتها الثقافية.

وبقراءة لرواية (ليلة هروب فجرة) للكاتب الجزائري (أحمد زغب) نجد كما هائلاً من التراث الشعبي بنوعيه المادي واللامادي، والذي يمكن إيجازه في :

اللباس الشعبي :

يحتل اللباس الشعبي التقليدي مكانة بارزة في تشكيل صورة المجتمع البدوي الصحراوي، خاصة في منطقة وادي سوف، إذ لا يستخدم اللباس هنا كعنصر وصفي في الرواية فقط، بل يتجاوز ذلك ليصبح دالاً ثقافياً، يعكس قيم المجتمع ونظرته للذات والآخر، حيث يظهر اللباس التقليدي كأحد الرموز الحاضرة بقوة في نسيج السرد، حيث لا يقتصر دوره على الجانب الجمالي أو الوصفي فحسب

1 فاطمة بالهوارى وعبد الكريم خيراي، التراث اللامادي حمايته وتنميته وأبعاده المستدامة، مجلة عصور، عدد 34 و35 ص 12

2 فانت محمد الشريف، الثقافة والفلكلور، دار الوفاء، دنيا للطباعة والنشر و التوزيع، الإسكندرية، مصر، ط 1، 2016م، ص 54

بل يتجاوزه ليعكس عمق الانتماء إلى التراث والبيئة الصحراوية، التي تنبض بالعادات والتقاليد الأصيلة حيث نجد توظيف الكاتب (أحمد زغب) في روايته بعض عادات وتقاليد تخص اللباس الشعبي، الذي اشتهرت به نساء وادي سوف في تلك الفترة كاللثام والبرقع، وهو وشاح يوضع على الأنف وما حوله، ونلمس ذلك من خلال قوله: " الفستان و قميص ولثام وهو الخمار التقليدي لتغطية الرأس"¹. وفي قوله أيضا: " يخرجون فجرة متبرقات بالأسود، يحطن بها من كل جانب ويرسلن البكاء والعويل"².

كما نجد في الرواية حضور اللباس الرجالي بشكل لافت بالعمامة والسروال، والسترة البيضاء، والتي تشكل مع بعضها البعض زي شعبي تقليدي: يرتدية الرجل السوفي، ونلمس ذلك في قول الكاتب: " وهم يحرصون على تناسق الرقصة حتى في ملابسهم الجميلة بالسروال الأسود العريض، والسترة البيضاء والقنار والعمامة"³، ونستخلص من هذا أن السروال الأسود لا يلبس إلا مرافقا للسترة البيضاء والعمامة ليتشكل بذلك كما قلنا سابقا زي شعبي تقليدي مكتملاً لرجولة الرجل السوفي، وفحولته محافظا بذلك على عاداته وتقاليد.

. الطبخ الشعبي : الطبخ الشعبي يعد جزءا أساسيا من التراث الثقافي، حيث يعكس نوعا غنيا

في المكونات والتقنيات، ويظهر تأثيرات متعددة من مختلف الحضارات التي مرت بها أي منطقة، ونجد في رواية ليلة هروب فجرة لأحمد زغب، حضور بارز للطبخ الشعبي، الذي اشتهرت به منطقة وادي سوف في تلك الحقبة آنذاك، حيث نجد طبق الكسكس الذي يصنع من القمح المطحون بالرحى الحجرية المعروفة

1 أحمد زغب، رواية " ليلة هروب فجرة " ص 102

2 الرواية ، ص 99

3 الرواية ، ص 117

نلمس ذلك في قول الكاتب: " لم يكن بوسعها الخروج لأنها منشغلة بالمساعدة في أعمال الطبخ وفتل الكسكس"¹، فالكسكس له طريقة خاصة في التحضير اشتهرت به نساء منطقة وادي سوف، ونجد أكلة (المطابق)، وهي نوع من الكسرة التي تعجن، وتطبق وتعرف في مناطق أخرى بالمحاجب، ونجد ذلك في قول الكاتب: " تناول عايش لقمة المطابق، ورفض أن يتسلم النقود مقابل الخدمة في غرسات نخيل الجامع"²، وكذلك أكلة الخبز المرفوس، وهو خبز يتكون من السميد، والماء والملح وتمر يعجن بعد نضجه بالسمن والزبدة، ويضاف له نصيب من التمر وقد ذكر الكاتب هذه الأكلة قائلاً: " تعود آباؤنا أن يكون تاقطيوط مرفوقا بصنع حلوى الرفيس ومن فئات الكسرة ودبس التمر حتى تحلو السنة المقبلة"³.

ويقصد بالتاقطيوط هو في الأصل دعاء إلى الله عز وجل - حسب تعبير الكاتب - ليحفظ الماشية وينزل الغيث، ويعم الخير، وهو عادة آباء المنطقة في استقبال فصل الربيع، وقد وظف الكاتب هذه الأكلة، ليبين التنوع والاختلاف الذي يزخر به المطبخ الشعبي في منطقة وادي سوف، هذا المجتمع الفلاحي، الذي يحافظ على عاداته وتقاليده وتراثه الشعبي، وإحيائه خاصة في المواسم والأعياد، ونجد أيضا (حساء الرغيدة)، و(القديم) و(الرفيس) و(الكمأة) والتي نجدها مجتمعة في قول الكاتب: " لاسيما النساء يستيقظن عند الفجر للبدء في إعداد الطعام الشهي هذه الأيام، والمكون من الرفيس والكمأة، وربما بعض القديم أو حساء الرغيدة الذي يتخذنه من طحين القمح والشعير مخلوطا ببعض الجبن واللقط، تزيده الملوحة والحموضة طعما شهيا"⁴.

1 أحمد زغب، رواية "ليلة هروب فجرة" ص 42

2 الرواية ص 15

3 الرواية ص 68

4 الرواية ص 76

فالكاتب هنا يعرفنا بأكلة مشهورة في مجتمعه تطبخها النسوة في الصباح الباكر، على اعتبار أن أزواجهن يعملون في المزارع، ورعي المواشي فلا بد من تحضير الطعام مبكراً، وتكون مرفوقة ببعض الأطعمة الشهية وهي عادة متوارثة توارثها الأبناء عن الأجداد ونلمس هنا نسق ثقافي، نجد فيه تتابع الزمن والأحداث.

. الأدوات والأواني الفخارية:

تمثل الأدوات والأواني الفخارية أكثر من مجرد أدوات للاستعمال اليومي، فهي مرآة تعكس حياة الشعوب وثقافتها، وتجسد قيم البساطة والمهارة والارتباط العميق بالأرض، وفي التراث الشعبي، تحتفظ هذه الأواني بمكانة خاصة، إذ توثق لحظات الحياة، وتحافظ على الحكايات والعادات المتوارثة جيلاً بعد جيل ورغم تطور الوسائل الحديثة، لا تزال الفخاريات حاضرة والذاكرة الشعبية كرم للأصالة والهوية الثقافية ومن خلال قراءتنا لرواية ليلة هروب فجرة لأحمد زغب، نجد زخماً هائلاً من استخدام الكاتب لألفاظ دالة على أدوات الفخار، فهو يعزز بذلك الموروث الشعبي الأصيل لمنطقته، حيث ذكر في روايته أنية المثرى في قوله " لتملاً المثرى بالكسكس لأبيها وأخيها عامر اللذين تعودا على القدوم بعد العشاء"¹.

ويقصد بالمثرى أنية من اللوح كالقصة من الفخار الأملس، يقدم فيها الأكل ساخناً، كما ذكر الجفنة في قوله " حضرت جفان الكسكس، وأخذت الأيدي تصعد وتنزل بالملاعق وتصطك على الجفنة"². والجفنة عبارة عن صحن متسع يستعمل في عجن الخبز وكل ما يفتل في البيت، وكانت النساء السوفيات

1 أحمد زغب، رواية " ليلة هروب فجرة " ص 85

2 الرواية، ص 19

تستعملها في حياتهن اليومية كوسيلة للأكل ولم شمل العائلة على مائدة واحدة، وهو ما يعمق الأصالة العبقية المليئة بالتراث الشعبي الأصيل، ويعزز النسق الثقافي للمجتمع، ومن المعروف قديماً أن المجتمع البدوي يعتمد في عيشه على وسائل تكون مصنوعة بالدرجة الأولى من الطين، وجلود الحيوانات مثل: القربة، الجلة أو المزادة، والقلة، وهي كلها وسائل تقليدية تؤدي نفس الغرض وهي نقل الماء وتخزينه فيها ونلمس توظيف الكاتب لهذه الوسائل التقليدية في قوله: "تعالى يا باكى، خذي هذه القلة وامليها نريد أن ننقلها لخيمة الرجال"¹.

وقوله أيضاً، "ما إن وصلوا إلى البئر حتى يعثروا على المزادة المملوءة"²، والمزادة هي قنينة حافظة للمياه الصالحة للشرب تكون عادة مزودة بحزام أو وسيلة لتثبيتها، ونلمس هنا قسوة طبيعة المنطقة والتي تعرف ندرة كبيرة في سقوط المطر، وأهمية هذه الأدوات للفرد الصحراوي، وهذا راجع للطبيعة القاسية للمنطقة.

- الموسيقى والشعر الشعبي: عنصران متكاملان في الثقافة الشعبية، ويعبران عن هوية الشعوب

ووجدانها، خاصة في المجتمعات العربية، وخير دليل حضور الموسيقى والشعر الشعبي في رواية ليلة هروب فجرة لأحمد زغب بشكل لافت للأنظار، حيث نجد توظيف الكاتب لموسيقى آلة الناي ومصحوبة بغناء شعبي ممزوج بالشعر الملحون.

1 أحمد زغب، رواية "ليلة هروب فجرة"، ص 61

2 الرواية، ص 82

ونجده خاصة عند الرعاة، ونلمس ذلك في قول الكاتب: " أما هؤلاء الرعاة فهم يعزفون على الناي أو على الزرنة، أو يغنون أو ينشدون الشعر"¹.

وهنا نرى تمسك السكان والأهالي خاصة الرعاة منهم بالموسيقى الشعبية الأصيلة، التي هي مؤنسهم ومسليتهم دون أن ننسى دور الشعر الشعبي في توثيق تلك الأصالة والهوية.

كما نجد موسيقى أو لحن الزقاري، وهو لحن أو عزف بآلة القصبة، وكذلك لحن الطبل الذي يستعمل عادة للتوقيع على رقصة الرداسي ورقصة النخ، ونجد ذلك في قول الكاتب: " لذلك طلبوا من عمي رابح أن يعزف لحن الزقاري بالقصبة، ومن أحد الكبار أن يضرب على القرح، وهو الطبل المغلق المستعمل عادة للتوقيع على الرداسي ورقصة النخ"².

ونلمس من خلال هذا القول توظيف الكاتب للتراث المادي مثل: آلة الموسيقى كالقصبة والطبل، وتوظيفه للتراث اللامادي كالموسيقى والرقص الشعبي، وهذا يعزز عمق الأصالة، ويوثق القيم الاجتماعية والثقافية في المجتمع السوفي، ويجعلها تراثا شعبيا أصيلاً بلا منازع.

وخلاصة القول تظهر الرواية كيف أن التراث الشعبي ساهم في بناء النص الروائي، من خلال توظيف الموروث المادي واللامادي وكذلك من خلال توظيف الأنساق الثقافية والاجتماعية وعلاقتها بالفضاء المكاني، هذا التوظيف يعكس عمق ارتباط الرواية بالبيئة الصحراوية الجزائرية ويسهم في تقديم صورة حية من المجتمع التقليدي.

1 أحمد زغب ، رواية " ليلة هروب فجرة " ص 2

2 الرواية ص 10

و. النسق الديني:

رواية ليلة هروب فجرة للكاتب الجزائري أحمد زغب تعد نموذجا أدبيا غنيا بتوظيف الأنساق الثقافية والاجتماعية، بما في ذلك النسق الديني الذي يُظهر تفاعلاً مع العرف والتقاليد في المجتمع الصحراوي التقليدي، ويبرز الكاتب التوتر بين الدين والعرف، حيث يُظهر كيف يمكن أن يستخدم الدين لتبرير بعض الممارسات الاجتماعية، بينما يظهر أيضا كيف يمكن أن يتعارض مع القيم الإنسانية، وتجسد شخصية الشيخ (الحسين) هذا التوازن، حيث يظهر كمرجع ديني يتسم بالحكمة والتعقل، متجنباً التفسيرات المتطرفة أو الخرافية فالشيخ (حسين) كان عبقرياً في إنقاذ (فجرة) من الموت، حيث كان جزءاً قطع رأسها، هو قص خصلة من خصلات شعرها، ونلمس ذلك في قول الكاتب: " سَدَلَهُ الشَّيْخُ خَصْلَةً وَاحِدَةً مِنْ خَلْفِ قَفَاهَا وَفِي دَهْشَةٍ مِنَ الْحَاضِرِينَ أَخْرَجَ مَقْصاً لَامِعاً، وَقَدَّمَهُ لِلْحَاجِّ الْحَفْنَائِيِّ قَائِلاً: "خُذْ بَرَّ قَسْمِكَ، واقطع رأسها رأس المرأة شعرها !!!" ، أخذ الحاج الحفناوي المقص وقص بحركة واحدة الخصلة الكبيرة المتدلّية على الأرض، وأجهش بالبكاء، واختفى بين الجموع"¹.

ونجد قوله : " رفع الشيخ الحسين عقيرته بسم الله الرحمن الرحيم: " الحمد لله الذي حلل النكاح ، وحرّم السفاح ، وجعل من الماء بشرا وصهرا وكان ربك قديرا "².

وهنا نلمس النسق الديني كيف استخدم كأداة لتبرير القيم السائدة.

1 أحمد زغب، رواية " ليلة هروب فجرة " ص 100

2 الرواية ، ص 100

وتجسد ذلك في شخصية الشيخ (الحسين) الذي يتخذ موقفا معتدلاً، مظهرًا التوازن بين الدين والعرف ويظهر كيف يمكن للدين أن يكون مرناً في مواجهة التحديات الاجتماعية، فالدين يحلُّ الزَّوْجَ، ويحرِّمُ القَتْلَ، وموقف الشيخ (الحسين) من قضية عايش وفجرة، يبرز، تبايناً بين التدين الشعبي الذي غالباً ما يكون متشدداً، والتفسير الديني الذي كان منصفاً لهما، والذي يتسم بالمرونة، والتفهم للواقع الاجتماعي ومن خلال هذه التفاعلات بين الدين والعرف، يظهر لنا دور الدين في تشكيل القيم الاجتماعية، كما أنه يعتبر أداة للتحرر والتغيير الاجتماعي، خاصة حينما يتناغم مع قيم العدالة والمساواة، ومن العيوب النسقية في المجتمع التقليدي، تحول الشعائر الدينية إلى ظواهر معزولة تسكن الهوامش من حياة الناس فالشاب عايش الباغامي يتساءل وهو ينشد متغزلاً بحبيته (فجرة) :

"أضوى من لفجار خدك يا فجرة * * أضوى من لفجار خدك يا فجرة.

أضوى من لفجار خدك يا فجرة * * عيونك جذي الريم في سطوح المجرى"¹.

يتساءل (عايش) لماذا لم يجد صعوبة في حفظ هذه الأغنية، بينما وجد صعوبة كبيرة في حفظ سورة (القارعة): ﴿ " القارعة (1) ما القارعة (2) وما أدراك ما القارعة (3) ﴾² في هذا المشهد الدرامي يتحول حدث حفظ القرآن إلى ذكرى تستقر في الهامش، ليتحول معها الدين لعبادة إلى مجرد طقوس في حياة الجماعة الشعبية ، تستند للتسلية أو لصنع المفارقة، وقد تصل ذروة الطقوس عند عمي رابح صاحب الصوت

1 أحمد زغب، رواية "ليلة هروب فجرة" ص 22

2 سورة القارعة، برواية ورش عن نافع الأيتان 1،2،3

الذي " يحفظ ما قاله البدو من شعر و قصص وأخبار منذ أقدم الأزمان لكنه لا يحفظ سورة الفاتحة ومع ذلك فهو مصر أن يصلي بها بروايته الخاصة التي تثير ضحك الشبان "1، نلاحظ أن هذا التصرف يبرز نوعاً من التناقض، الشخص متمسك بالشكل الظاهري للدين (الصلاة)، لكنه يفتقر إلى المعرفة الدينية الصحيحة، ويعوضها بارتجال الذي لا يراعي قدسية النص القرآني، وهذا وصف ساخر مسلط الضوء على مفارقة اجتماعية ودينية في الرواية، ونجد في الرواية، تمسك أهل البدو بالصلاة، وتقديسهم لصلاة الجمعة ونلمس ذلك في قول الكاتب: " وقد اقترب موعد صلاة الجمعة، فقرروا أن يتوقفوا في الخبنة لأداء الصلّاة الأسبوعية ، وزيارة الحاج الحفناوي "2 .

نلمس هنا دلالتين، إحداهما دينية وأخرى اجتماعية فاقتراب وقت صلاة الجمعة، يشير إلى توقيت ديني مقدس في الإسلام، إذ تعد صلاة الجمعة شعيرة جماعية مهمة، كما أن الجمع بين أداء الصلاة وزيارة شخص مثل الحاج الحفناوي، يوضح كيف أن الدين في هذا السياق لا ينفصل عن البنية الاجتماعية فالحاج الحفناوي يعتبر شخصية محترمة لها دور في تثبيت القيم والأنساق التقليدية. وعليه تلاحظ أن النسق الديني في الرواية يمثل خلفية ثقافية واجتماعية تؤطر سلوك الشخصيات وتفاعلاتها إلا أنه يظهر غالباً في صورة شكلية أو متناقضة، تكشف عن اختلال العلاقة بين المعتقد، والممارسة، فمن جهة، توظف الشخصيات الرموز والشعائر الدينية كوسيلة للتباهي مع الجماعة أو الحفاظ على الهيبة الاجتماعية.

1 أحمد زغب، رواية " ليلة هروب فجرة "، ص 9

2 الرواية، ص 49

و من جهة أخرى، يتجلى قصور في الفهم الحقيقي للدين، ما يعكس تدينا سطحياً، يخضع للتقاليد أكثر من القناعة الدينية، ومن خلال هذا التوظيف الساخر والناقد، يفضح الكاتب أنماط الرياء الديني والانفصال بين النص المقدس، والسلوك اليومي، مما يجعل النسق الديني مرآة للمجتمع ذاته، بتناقضاته وصراعاته بين الأصالة والموروث الشعبي والمتغيرات.

ز. النسق الاجتماعي :

رواية **ليلة هروب فجرة لأحمد زغب** تقدم دراسة معمقة للأنساق الاجتماعية في المجتمع الصحراوي الجزائري، من خلال تسليط الضوء على تأثير العرف، والسلطة الذكورية، والصراع بين الأجيال، وذلك من خلال شخصية (فجرة)، حيث أظهرت لنا الرواية كيف يمكن للمرأة أن تكون فاعلاً رئيسياً في تغيير النمط الاجتماعي السائد، مما يبرز دورها الهام في المجتمع.

ونلمس النسق الاجتماعي في الرواية، في قول الكاتب: " هكذا كان اللغظ بين السكان البسطاء عن تسجيل الألقاب والحالة المدنية للسكان بعد أكثر من ستين عاماً من صدور القانون الفرنسي سنة 1883 فلم يكن المواطنون يملكون الوعي الكافي لفهم ما يدبر له الحكام الفرنسيون، فلم يكن الناس يعرفون بمعزل عن قبائلهم، وكان النظام القبلي هو النظام السائد للتعرف على هوية الناس، فدمجت السلطات الفرنسية الناس في سجلات ضخمة دون مراعاة لنسبهم القبلي"¹.

نلمس هنا نسق الهوية والبحث عن الذات، أكثر منه نسق اجتماعي، ففرنسا تريد طمس الهوية

1 أحمد زغب، رواية "ليلة هروب فجرة"، ص 43

الشخصية للناس، والتفريق بين أفراد المجتمع من خلال التلاعب بالألقاب، وهناك ظاهرة اجتماعية كانت سائدة في المجتمع السوفي آنذاك، وهو تزويج الفتاة عنوة، حتى دون رضاها، ونلمس ذلك في قول الكاتب:

"لم يكن الناس قديما يقيمون وزنا للفتاة ، فقد كانت تؤخذ عنوة من مرابع قومها"¹.

وهذا القول يعكس النظرة السائدة في بعض المجتمعات القديمة، التي لم تكن تعطي المرأة أو الفتاة حقها الكامل في الكرامة أو الاستقلال، حيث لم يكن ينظر لها ككائن له رأي أو قيمة مستقلة، فقد كانت تختطف أو تؤخذ بالقوة من أهلها دون رضاها أو رضا ذويها، سواء للزواج، أو لأغراض أخرى، وهذه إشارة إلى غياب حقوقها الإنسانية في المجتمع، وبالتالي فهذا القول ينتقد الواقع الاجتماعي، والتقاليد الظالمة التي كانت تهتمش دور المرأة، وتهين كرامتها، فالواقع الاجتماعي الظالم الذي كانت تعيشه الفتاة (فجرة) وتسعى إلى تغييره، من خلال هروبها، حيث تعلن رفضها للواقع المفروض عليها، وتسهم في تشكيل مفهوم مكانة المرأة في المجتمع التقليدي.

كما نجد في الرواية المفارقة الطبقيية بين قرية الحاج الحفناوي، وأهل البدو من قبيلة الفتى (عائش)، والتي تعكس صراعاً اجتماعياً قديماً بين الريف المستقر والبدوة المتنقلة، حيث ينظر إلى قرية الحاج (الحفناوي) على أنها مستقرة، لها أرض زراعية خصبة، تعلم أبنائها في الزوايا والمساجد حيث ينظر إلى هذا الاستقرار والزراعة والتعليم، كرموز للتحضر والتقدم، بينما ينظر إلى البدو نظرة دونية، باعتبارهم متأخرين، لعدم امتلاكهم لأراض ثابتة أو مساكن مستقرة، فهم يوصفون بأوصاف سلبية مثل الجهل أو التخلف،

1 أحمد زغب، رواية "ليلة هروب فجرة"، ص 50

وهذا النوع من التميز الطبقي يؤدي إلى تهميش البدو، وحرمانهم من فرص متساوية في التعليم أو العمل أو حتى في التمثيل السياسي، كما أن أهل قرية الحاج (الحفاوى) والد (فجرة) غالبا ما يمتلكون مفاتيح السلطة المحلية، سواء عبر المشيخة أو الارتباط بالحكومة أو مؤسسات الدولة ما يجعلهم في موقع الهيمنة على البدو الذين يعيشون على الهامش، ولا يملكون صوتا قويا في صنع القرار، كما أنهم يتمسكون بعاداتهم وتقاليدهم القبلية، الشيء الذي براء القرويون كرمز الرجعية، دون وعي منهم بأن هذه الثقافة تصل قيما عريقة كالشرف والكرم والشجاعة، وهذا ما يؤدي إلى تعارض قيمى يُستغل لخلق فجوة اجتماعية من القبيلتين، وهذا السبب الذي أدى بالحاج (الحفاوى) تزويج ابنته (فجرة) للفتى (عايش)، نظرا للبعد الطبقي والتميز الاجتماعي، الذي يطبع العلاقة بين أهل القرية وأهل البدو، فهذا الصراع الطبقي لا يعكس فقط الرفض بالزواج، بل أحدث صداما بين عالمين: عالم مستقر يرفض التغيير، وعالم بدوي يحمل قيما مغايرة.

وعليه، فالملاحظ أن رواية (ليلة هروب فجرة) تكشف عن بنية نسقية اجتماعية معقدة، تنقسم بين عالمين متنافرين: عالم القرية المحافظ المرتبط بالأرض والسلطة الأبوية، وعالم البادية الحر الذي تحكمه القيم القبلية والتقاليد المتقلبة، من خلال قصة الحب الممنوع بين (فجرة) و(عايش)، حيث يسلط الكاتب أحمد زغب عن الضوء على التوتر الطبقي والثقافي بين البدو والقرويين، مبرزاً النظرة الدونية التي ينظر بها إلى أهل البدو رغم ما يملكونه من شهامة وكرامة، ويكشف النسق الاجتماعي في الرواية عن صراع بين من يحتكرون الحق في اتخاذ القرار باسم الشرف والعرف، وبين من يسعون لكسر القيد الاجتماعي دفاعا عن الحب والكرامة الشخصية.

ولقد اختار الكاتب أحمد زغب أن يعري هذا النسق الظالم من خلال سرده العاطفي والرمزي، موضحاً كيف تتحول العادات إلى أدوات قمع، وتصبح الفوارق الطبقيّة حواجز تحول دون إنسانية العلاقات، بالتالي نجد أن الرواية تمثل صرخة أدبية ضد القيود الاجتماعية الظالمة، وتدعو لإعادة النظر في التصنيفات الجائزة التي تبني المجتمعات على أسس التمييز، لا على قيم العدالة والحرية، فالرواية توضح لنا المنظومة الاجتماعية المتوارثة في منطقة وادي سوف وتدعو إلى الانفتاح على قيم المساواة والحرية والاختيار الشخصي، بما يسمح ببناء مجتمع أكثر عدالة وإنسانية .

ح - نسق الحب في الرواية :

يشكل الحب في رواية (ليلة هروب فجرة) لأحمد زغب، نسقاً مركزياً يدور حوله الصراع الدرامي، وهو حب يتجاوز البعد العاطفي ليصبح موقفاً وجودياً ومقاومة لقيود المجتمع ، فالعلاقة بين فجرة، الفتاة القروية وعائش الفتى البدوي، ليست مجرد علاقة بين شخصين، بل مواجهة بين عالمين: عالم التقاليد الصارمة والهيمنة الأبوية، وعالم يسعى فيه الحب ليكون قوة تحرر، يصور الحب في الرواية كفعل تمرد وكشف للذات، خاصة في شخصية (فجرة) التي ترفض أن تكون أداة بين السلطة الذكورية ممثلة في أبيها الحاج (الحفناوي)، فاختارت (فجرة) الهروب لا لأنها ضعيفة، بل لأنها تؤمن أن الحب الذي يجمعها بالفتى (عائش) أحق بالحياة من التقاليد الجامدة والبائسة.

هذا النسق العاطفي لا ينفصل عن الأنساق الاجتماعية والسياسية المحيطة به، بل يتفاعل معها و يكشف تناقضاتها، فالحب في هذه الرواية لا يسمح له بالاكتمال، لأنه يصطدم بحواجز الانتقاء الطبقي والهوية الثقافية، ما يجعله حباً مأساوياً، ولكنه في الأخير انتصر رغم كل العقبات، لأنه كان حباً صادقاً

يفتح أفقا للتغيير ويخلق ثورة على التقاليد والعادات الظالمة. ويعد موضوع الحب في المجتمعات التقليدية من الطابوهات التي يمكن " تصنيفها ضمن دائرة اللامساس، لارتباط اللفظ بالمحادثة في اللاوعي الجمعي " ¹.

ولهذا تخفف هذه الكلمة (الحب) في المجتمع التقليدي السوفي بعبارة **نافح فيها**، بمعنى راغب الزواج بها وقد يفسر ذلك بهشاشة البنية النفسية لهذا المجتمع، الذي يرى في الحب محاولة للنيل من الشرف الذي يرتبط في ذاكرة المجتمع التقليدي بعرف الثأر، الذي يعد هو الآخر نسقاً مضمراً، ولهذا فإن العرف المتداول بين هذه الجماعة الشعبية يعتبر (الحب) عرقاً نسقياً ثقافياً، يجيد التخفي وراء النسق الجمالي ونلمس ذلك في وصف الكاتب لمشهد الرقص في حلبة المحفل .

حيث يقول: " حمي الوطيس وطيس العرس، واشتدت زغاريد النسوة لا سيما من قبيلة أولاد حامد، البنات من خلفها يشرن إليها بالانسحاب والشباب من خلف عايش يهتفون له : القنار المائل يا عايش، القنار المائل عايش !!! " ².

وقد حرص الفتى عايش على إظهار مهاراته الذاتية، أثناء أداء رقصاته مع فرقة البارود، وهو نسق مضمّر نلمسه هنا، حيث أن النائحات، كانت أعينهن على فارس الأحلام، وقد كان الفتى (عايش) يترنم أو يتغنى بالأشعار التي تتضمن جملاً ثقافية، تعبر عن عاطفة عميقة، تتحايل على ثقافة الرقص، التي صنعتها هواجس البيئة المجتمعية السائدة في منطقة وادي سوف، حيث نجد الفتى (عايش) لا ينفك يردد

1 نوري سعدي أبو زيد، الدليل النظري في علم الدلالة، دار الهدى ، عين مليلة ، الجزائر، ط2، 2007، ص110

2 أحمد زغب ، رواية " ليلة هروب فجرة " ص 19

المقطع التالي بصوته الجهوري:

"أضوى من لفجار خذك يا فجرة أضوى من لفجار

أضوى من لفجار خذك يا فجرة أضوى من لفجار

عيونك جدي الريم في سطوح المجرى" ¹.

وقد أرسل (عايش) أخته عيشة إلى ديار (فجرة) للسؤال عن المحبوبة التي ستترف إلى ابن عمها (العرباوي) بعد أيام، مستغلاً حفل الطهور حفيد الطالب (الحسين)، وقد قالت (عيشة) حينما تعرفت على (فجرة) عند بئر القرية: "اسمحيلي يا أُوخيتي إن كنت أزعجتك، فأنا قد جئتك برسالة من شخص يفنى في حبك، ولا بدلي من وقتك، نتحدث في الرسالة بعيداً عن ضجة الفرح والطهور" ²، وهذا يعني أن (الحب) مارس سلطانه النسقية خارج مجال الرقابة الاجتماعية، وعليه نجد أن نسق الحب في رواية ليلة هروب فجر يشكل محورا عميقا، يتقاطع مع التوترات النفسية والاجتماعية التي يعيشها الأبطال، إذ لا يظهر الحب بوصفه حالة مثالية أو رومانسية خالصة، بل يتجلى كقوة مقاومة وأداة للتحرور والانعتاق من القيود المفروضة، فالحب في هذه الرواية يتلون بالقلق والخوف، والرغبة، ويتحول إلى تجربة وجودية تكشف هشاشة الذات، وقوة التعلق بالآخر، ومن خلاله يقدم أحمد زغب تصويراً إنسانياً معقدا للعلاقة العاطفية، ويخرج بها عن المألوف نحو فضاء أدبي يجمع بين الجسد والروح، والواقع والعلم، فيغدو نسق الحب في الرواية أداة لفهم الذات، ومساءلة الواقع، لا مجرد حكاية غرامية عابرة.

1 أحمد زغب، رواية "ليلة هروب فجرة" ص 25

2 الرواية، ص 59

ط - نسق الولاء والرفض :

تجسد رواية (ليلة هروب فجرة) لأحمد زغب الثراء بين نسق الولاء والثقافة التقليدية، ونسق الرفض للتقاليد وهذا الصراع يظهر التوتر بين الحفاظ على الهوية الثقافية، والتطلع نحو التغيير والتحرر فالولاء يتمثل في التمسك بالتقاليد والطقوس المجتمعية، مثل: قوانين الزواج وحقوق المرأة والفحولة، هذه القيم تعتبر متعالية ثقافياً، وتساهم في تنميط المجتمع وحمايته من التغيرات، والرواية تظهر كيف يتحول العرف إلى قانون اجتماعي صادم، يستخدم لحماية حدود هذا المجتمع أما الرفض، فيظهر من خلال الشخصيات التي تتحدى هذه القيم التقليدية مثل الفتاة (فجرة)، التي تجسد تمرداً على الأعراف السائدة، وهذا الرفض يعبر عن رغبة في التحرر من القيود الاجتماعية والثقافية، والبحث عن هوية فردية بعيدة عن سلطة التقاليد، والولاء للأنا، والرفض للآخر هو أصعب المعادلات النسقية في المجتمع التقليدي، حينما يسعى الأنا إلى محاولة الإنفراد بمركزية المنتج الثقافي، وتحويل الثقافة إلى مملكة خاصة به، ترفض الآخر المختلف، والنموذج الذي أمامنا هو شخصية (الحاج الحفاوي)، وهي شخصية ديناميكية محورية في الرواية، إذ تشكل همزة وصل بين كل الفئات الاجتماعية في قرية (الخبنة)، وما جاورها من بادية (باغام) وهو مواطن من قبيلة أولاد حامد وتتميز هذه الشخصية بالحدة واللين معا لا أحد في هذه النجوع يتخذ قراراً مصيرياً دون استشارة (الحاج الحفاوي)، بداية من أهل بيته وذوي قرابته إلى غاية أطراف البادية البعيدة، فالكل تحت إمرته، والجميع يتفق على أن (الحاج الحفاوي) ما كان ليتبوأ هذه المكانة، لولا عوامل الثراء والجاه والسمعة الطبية التي اكتسبها من وراء التجارة بالتمور، ورغم كرمه الظاهر وحلمه إلا أنه كان يعامل هؤلاء البدو الرحل من منطلق الشفقة عليهم، وهي نظرة لا تخلو من استعلاء

وتصنيف طبقي، وازدراء مبطن للآخر المختلف، وخشية ذهاب ماله إلى الغريب، وجد الحاج الحفناوي نفسه مرغماً على تزويج ابنته الوحيدة (باكي) من ابن أخته (العرباوي) الفتى الذي كان محل تعريض دائم من شباب القرية، حيث كان يصفونه بالساذج والجبان، وقد زاد الحاج الحفناوي اقتناعاً بجذوى هذا الاختيار بعد أن تبادر إلى مسامعه ما يتهامس به الناس في قريته حول غرام الفتى (عايش) بابنته (باكي) وعزم أهل العرباوي التقدم لخطبتها منه، ونلمس ذلك في قول الكاتب : " لوحت والدته علجية أكثر من مرة بإمكانية خطبتها لابنها (العرباوي)، وليس لها أبناء عم، فهو أولى الناس بها حسب أعراف القبائل البدوية، وحتى الريفية التي استقرت أخيراً على غراسة النخيل، والمقطع الشعري الذي هتف به العرباوي، يشير إلى أن المرأة إذا خرجت، وتزوجت من خارج القوم فلا يعيرها أحد أي قيمة، مهما كان جمالها وصفاتها الأخرى"¹.

وهذا ما جعل نسق الرفض يزداد لديه رسوخاً، فالحاج (الحفناوي) لا يرى حلاً لهذا المأزق إلا بالتسريع في هذا الزواج، فأشد ما يخشاه أن الفتى (عايش) قد فتن الفتاة (فجرة) برقصه وقناره، ولهذا فإن زواجها من (العرباوي) ابن أخت (الحفناوي) كفيل يقطع السنة الناس، والمحافضة على ماله، وقد تدعمه في هذا المسعى الثقافة نفسها لأن (العرباوي) تربطه صلة قرابة بالفتاة (فجرة)، ومن نفس قبيلتها. والولاء لنا في شخصية (الحاج الحفناوي) لا يتوقف عند قراره الراض القبول خطبة الفتى (عايش) من ابنته الوحيدة (فجرة) فقط بل هو رفض نسقي لهذا المجتمع الدخيل برمته، فهو يرى أن هذا المجتمع

1 أحمد زغب، رواية "ليلة هروب فجرة"، ص 27

المتسول، كما يتصوره، يشكل عبئاً ثقيلاً عليه، وعلى أبناء قريته (الخبنة) هذه القرية التي تنعم بالاستقرار الاجتماعي والاقتصادي، ومن الطبيعي أن يكون الرفض للأخر معادلاً للولاء لأننا في معادلة التصنيف الطبقي كنسق مضمّر لا يقبل المساومة تحت حراسة الطابو الاجتماعي، الذي لا يسمح فيه للغريب عن القرية في صورة البدو تحديداً أن ينعموا بالمساواة الاجتماعية في ظل القوانين الخاصة التي تسنها الثقافة المحلية، والتي تغذيها العصبية بعيداً عن خطاب القيم والمثل العليا التي يسوقها النسق الجمالي من هذا الخطاب.

وعليه فنسق الرفض والولاء، يتجلى في الرواية، لصراع داخلي و خارجي يعيشه الأبطال بين التمسك بالقيم والتقاليد من جهة، ومجابهة القيود الاجتماعية والسياسية من جهة أخرى، وتكشف الرواية عن عمق التحولات النفسية والفكرية، التي تصاحب الفرد الظالمفي لحظة التمرد أو الطاعة، مما يعكس واقعا جزائريا مثقلاً بالتناقضات، وبهذا تصبح الرواية مرآة لأسئلة الانتماء والحرية و البحث عن الذات في مواجهة سلطة متعددة الأوجه .

من خلال هذه الجدلية، يُظهر الكاتب الجزائري (أحمد زغب) براعة في تسليط الضوء على الأبعاد النفسية والسياسية للشخصيات، ويجعل من نسق الولاء والرفض عنصراً فاعلاً في تشكيل مسار السرد وتطوره، مما يمنح الرواية عمقا فكرياً وإنسانياً كبيراً، وفي الحاصل، يعكس نسق الولاء والرفض في الرواية صراع الفرد داخل بنية مجتمعية تقاوم التغيير، ويشكل أداة فنية وفكرية لفهم آليات القمع والمقاومة في السياق الجزائري خاصة، والعربي والإنساني عامة.

ي - باكي النسق المقيد / فجرة النسق الحر:

يتجلى الصراع بين النسق المقيد والنسق الحر في رواية ليلة هروب فجرة لأحمد زغب، كأحد المحاور الأساسية التي تعكس التوتر بين التقاليد والحدثة في المجتمع الجزائري التقليدي ويتمثل النسق المقيد في الرواية في القيم الاجتماعية الصارمة، التي تحكم المجتمع التقليدي، مثل، قوانين الزواج، وحقوق المرأة والطقوس الدينية، ويظهر تحليل (قينة السعيد) في دراسته لنسقية العرف في رواية ليلة هروب فجرة كيف أن " العرف يتحول إلى قانون اجتماعي صارم يساهم في ترميم المجتمع وحمايته من التغيرات الثقافية"¹. كما أن الكاتب (أحمد زغب) في روايته، بين لنا سيطرة المجتمع التقليدي الظالم، الذي يرى استحاله تحقيق حلم الشابين العشيقين (عايش) و(فجرة)، بسبب العرف التقليدي الجائر، حيث أصبح غرام (عايش) و(فجرة) يُعرف بالعشق الممنوع ونلمس ذلك في قول الكاتب: " لم تكن إستحاله تحقيق حلم الشابين العشيقين مجتمع مظلم لا يعبد إلا الها مزيقاً بالياً يسمى الأعراف الاجتماعية الرثة"²، أما النسق الحر، والذي يُعرف بالتمرد على القيود والبحث عن الذات، وهذا ما جسده شخصية الفتاة (فجرة) في الرواية حيث تحدث كل الأعراف والتقاليد، وقامت بكسرها " متحدية أباهاً وسلطته، ومتمردة على قراره الحازم بتزويجها من العرباوي ابن عمته"³.

ففجرة هنا تسعى للهروب من واقعها المفروض عليها، ويشير الباحث (أيمن بلخيري)

1 قينة السعيد، مراجعة الدكتورة الشامخة خديجة، نسقية العرف في رواية ليلة هروب فجرة لأحمد زغب، دار النشر للطباعة والتوزيع، مجلة دورية، جامعة غرداية، الجزائرية المجلد (14) العدد 2 تاريخ النشر: 19/06/2019، ص 260

2 أحمد زغب، رواية ليلة هروب فجرة، ص 51

3 الرواية، ص 86

في دراسته الأنساق الثقافية في رواية ليلة هروب فجرة إلى أن الروية تظهر كيف " تحاول الشخصيات كسر القيود الثقافية والاجتماعية للبحث عن هويتها وحريتها"¹، ويظهر ذلك في رغبتهم في التحرر من الأعراف والتقاليد، والسعي وراء تحقيق الذات والحرية الشخصية.

ومن خلال تحليلنا لهذا النسق - النسق الحر - نتمكن من فهم التحديات التي تواجهها الشخصيات

في سعيها لتحقيق الذات والتغيير، وكيفية تأثير ذلك على تفاعلها مع المجتمع والواقع المحيط بها.

وعليه فالنسق الحر يتجلى، كأحد الأبعاد الأساسية، التي تبرز التوتر بين الفرد والمجتمع، وبين التقاليد

والحدثة، وهذا النسق لا يقتصر على البنية السطحية للنص، بل يمتد ليشمل الأبعاد الثقافية والنفسية

والاجتماعية، مما يعكس صراع الشخصيات مع الواقع المحيط بهم .

" كما أن العلاقة بين النسق المقيد والنسق الحر في الرواية، تظهر التفاعل المستمر بين التقاليد والحدثة

وبين القيم الجماعية والحقوق الفردية من خلال هذا التفاعل، تبرز الرواية التحديات التي تواجهها

الشخصيات في محاولاتها للتوازن بين الحفاظ على هويتها الثقافية، والسعي نحو التغيير والتحرر.

وبالتالي تلاحظ أن رواية "ليلة هروب فجرة لأحمد زغب، تقدم دراسة عميقة للصراع بين النسق المقيد

والنسق الحر، وتظهر كيف يمكن للأفراد أن يتأثروا وبينها علوا مع هذه الأنساق في محاولاتهم، لتحقيق

الذات والحرية، فمن خلال هذا التناول، تساهم الرواية في فهم التحديات الثقافية والاجتماعية

1 بلخيري أيمن، ديلمي محي الدين، الأنساق الثقافية في رواية "ليلة هروب فجرة" لأحمد زغب، قسم الأدب العربي مذكرة المباشر، جامعة

محمد البشير الإبراهيمي برج بوعرييج، الجزائر، 2008/2002، ص 52

التي تواجهها المجتمعات التقليدية في مواجهة التغيرات الحديثة.

وخلاصة القول نجد أن رواية ليلة هروب فجرة ليست مجرد سرد لوقائع هروب أنثى من واقع قاهر

بل هي مرآة تعكس تشابك الأنساق الثقافية المتجزرة، في مجتمع يعاني من التوتر بين الأصالة والتغيير.

وقد نجح الكاتب "أحمد زغب" في تقديم عمل أدبي يعالج هذه الأنساق بلغة سردية، مشبعة بالرمزية والدلالة

الثقافية، مما يمنح النص عمقاً سوسولوجياً إلى جانب بعده الأسلوبي والجمالي.

وعليه فالرواية تمثل نموذجاً سردياً عميقاً لتحليل البنى الثقافية في المجتمع العربي، حيث يتحرك النص بين

القمع والتحرر، وبين الهيمنة والانفلات، لي طرح سؤالاً جوهرياً:

إلى أي مدى يمكن للفرد أن يتحرر من قبضة النسق؟

ففجرة - بطلتها - تصبح تمثيلاً وجودياً لصوت المرأة، وصوت الذات، صارخة في مواجهة سلطة جماعية

تحاصر العلم والتطلع. وهكذا، تفتح الرواية أفقاً فكرياً لفهم التحولات التي تعصف بالمجتمعات المحافظة

حين تطرق أبوابها رياح التغيير، وتلكم هي الأصالة العبقة، المليئة بالتحديات ضد الظلم والقهر

والاستعباد.

خاتمة

ها نحن في نهاية المطاف، نسدل الستار على نهاية بحثنا والموسوم بـ: " الأنساق الثقافية في رواية

"ليلة هروب فجرة لأحمد زغب"، والذي حاولنا قدر المستطاع من خلال هذه الدراسة، الوصول

إلى النتائج التالية:

- قراءة الأنساق الثقافية للنص الأدبي، تكشف عن منطلق الفكر داخل النص، إذ تنطلق من الأنساق

الثقافية الواردة في النص، مروراً بتأويل مقاصد المبدع ووعيه، واستخراج هذه الأنساق الثقافية من النص

الأدبي والخطابات، سواء كانت ظاهرة أو مضمرة.

- مواضيع النسق الثقافي متعددة ومتنوعة، شملت الخطابات المهمشة والتقاليد السائدة في المنطقة، وكذلك

تدرس ثقافات المجتمع البدائية أو المتدينة من خلال العادات و التقاليد.

- مسابقة عنوان الرواية للحدث الدرامي، الذي عالجه الكاتب من المجتمع التقليدي في الجنوب الجزائري

بحيث جاء هذا العنوان على شكل جملة ثقافية تكشف اللثام عن واقع الحياة في هذا المجتمع وما فيه

من تناقضات ومفارقات.

- رواية " ليلة هروب فجرة" لأحمد زغب، تعد نموذجاً غنياً في الأدب الجزائري المعاصر، حيث تتداخل

فيها الأنساق الثقافية المتنوعة، والتي تعكس واقع المجتمع الصحراوي، وتبرز هويته، من خلال توظيف

اللغة واللهجة. وتسليط الضوء على العرف والولاء والرفض، وكذلك العادات والتقاليد السائدة في المنطقة

واستحضار الفضاء البدوي والتناص القرآني وتوظيف الموروث الشعبي، فالرواية هنا تقدم صورة متكاملة

لواقع ثقافي غني ومعقد.

- يعد النسق المكاني في الرواية، عنصراً أساسياً في بنائها، فهو يشكل بنية سردية عميقة تعكس التحولات

الاجتماعية والثقافية التي يمر بها المجتمع الجزائري بين البداوة والحضر، والتقليد والحداثة، فكل مكان

- من الأماكن الواردة في الرواية، والتي قمنا بدراستها، تعد حامل دلالي يعكس صراع الشخصيات وتطلعاتها ويبرز التباينات الطبقية والثقافية.
- النسق الزمني في الرواية استخدم كأداة فنية تبرز التحولات النفسية والاجتماعية يعيش بين شد الماضي وجذب الحاضر، فالكااتب في الرواية أعاد بناء الواقع بأسلوب يجمع بين الرمزية والتوثيق، ليمنح القاري تجربة سردية نابضة بالحياة، والوعي الجمعي.
- تفتح الرواية من خلال عنوان " ليلة هروب فجرة " بابا لفهم أوسع وأعمق لحكايات نساء يسعين إلى إعادة تعريف ذواتهن، خارج قوالب العار الممنوع، ما يجعل العنوان عتبة تأويلية توجه القارئ نحو قراءة النص من منظور تحرري نقدي.
- تبرز الرواية كيف يمكن للأدب أن يكون وسيلة للتعبير عن التحديات الثقافية والاجتماعية، مما يجعلها نصاً أدبياً يُحفّز على التأمل والنقد الاجتماعي.
- تظهر الرواية كيف أنّ التراث الشعبي يشكل نسيجاً أساسياً في بناء النص الروائي، من خلال توظيف الموروث المادي واللامادي، وكذلك من خلال توظيف الأنساق الثقافية والاجتماعية، وعلاقتها بالفضاء المكاني، هذا التوظيف يعكس عمق ارتباط الرواية بالبيئة الصحراوية الجزائرية، ويسهم في تقديم صورة حيّة عن المجتمع التقليدي.
- نلمح في الرواية مآزق الفحولة، حيث أن الفحل غالباً ما يكون رجلاً تنتجه ثقافة المجتمع، غير أن الفحل في الرواية تقمصته أنثى في معركة الأنساق الثقافية كما يسميها الغدامي، لهذا تعرّض الفحل المزيف فجرة إلى العقوبة، لأنه كسر القاعدة العرفية، فلم تتسامح معه الثقافة الداعمة للفحل الحقيقي، فكانت النهاية مأساوية، وكاد الحلم يتبخّر.

- تفضح الرواية أنماط الرياء الديني، والانفصال بين النص المقدس، والسلوك اليومي، حيث جعلت الرواية من النسق الديني مرآة عاكسة للمجتمع ذاته، بتناقضاته وصراعاته بين الأصالة والموروث الشعبي والمتغيرات.

- تكشف الرواية عن بنية نسقية اجتماعية معقدة، تنقسم بين عالمين متنافرين: عالم القرية المحافظ المرتبط بالأرض والسلطة الأبوية الجائرة، وعالم البادية الحر الذي تحكمه القيم والتقاليد المتقلبة، وهذا ما جسدهت الرواية من خلال الحب الممنوع بين (فجرة) و(عايش) حيث برهن لنا النسق الاجتماعي في الرواية الصراع بين من يحتكرون الحق في اتخاذ القرار باسم الشرف والعرف، وبين من يسعون لكسر القيد الاجتماعي دفاعاً عن الحُبِّ والكرامة الشخصية.

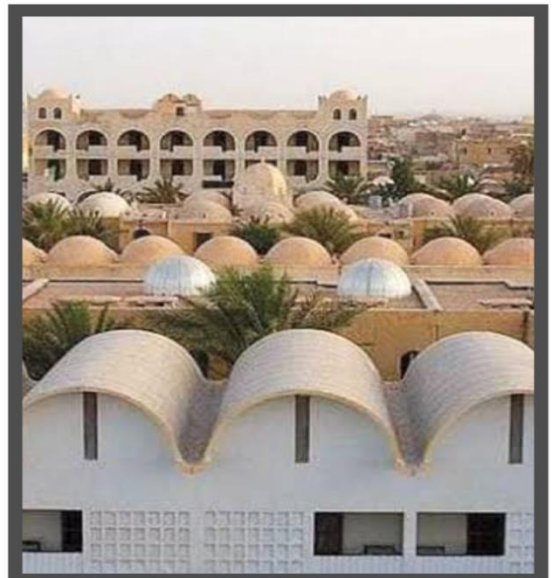
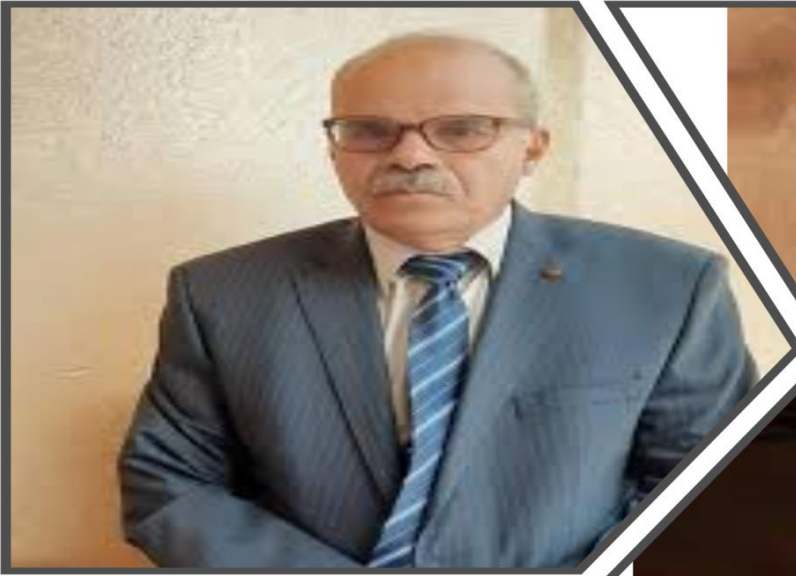
- ساهمت القيمة المركزية في الرواية في الكشف عن أنساق القبح التي تختبئ وراء النسق الثقافي، ونعني بها الحب الجمالي، فلاحظنا كيف ظهرت هذه الأنساق، وأبانت لنا العيوب الثقافية في المجتمع التقليدي من حيث هي أنساق راسخة يسوقها العرف في صورة قيم ومثل عليا، فالتطبيقية تفوق واجتهاد، والمن كرم وسخاء، والازدراء شهامة وأنفة، وهذا يعكس القيم والمبادئ السامية.

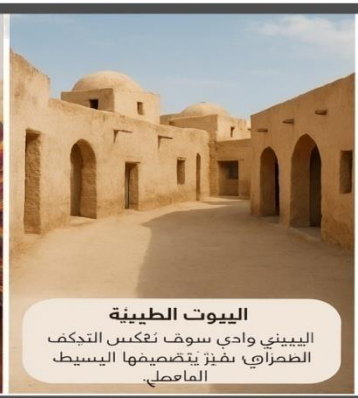
- رواية ليلة هروب فجرة لأحمد زغب، ليست مجرد سرد لوقائع هروب أنثى من واقع قاهر، بل هي مرآة تعكس تشابك الأنساق الثقافية المتجذرة، في مجتمع يعاني من التوتر بين الأصالة والتغيير، وقد نجح الكاتب "أحمد زغب" في تقديم عمل أدبي يعالج فيه هذه الأنساق بلغة مشبعة بالرمزية والدلالة الثقافية مما يمنح النص عمقاً سردياً سوسولوجياً إلى جانب بعده الأسلوبي والجمالي.

وختاماً حرصنا في هذه الدراسة على تسليط الضوء على أهم النتائج والوقوف عليها، سائلين الله

التوفيق والسداد.

الملاحق





الملحفة. ري نسائي تقليدي
تقليدي بيع نصف مع الصناح الصراوي
ينواونه الزلمية ونطريزلته اللصلة.

البيوت الطينية
البييني وادي سوف تفكس التجكف
الطصراي، بفيتر يتصميمها اليسيط
الماعلي.



مجلة وادي سوف





المصادر و المراجع

- القرآن الكريم، برواية ورش عن نافع

أولا المصادر:

1 ابن تومي، اليمين، رواية زنباية، دار لوسيل، الدوحة، قطر، د.ط، 2018م.

2 أحمد، زغب، ليلة هروب فجرة، سامي للطباعة والنشر والتوزيع، الوادي، الجزائر، د.ط، 8 مارس 2017م.

3 المتنبّي، أبو الطيب، ديوان المتنبّي، تحقيق: أحمد بن الحسين بن عبد الصمد، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط.4، 1983م.

4 امرؤ القيس، ديوان امرؤ القيس، تحقيق: حسن السندوبي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط.5، 2004م.

ثانياً المراجع:

- 1 - أحمد مؤمن، اللسانيات،النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د. ط، 2002م.
- 2 - أحمد عيسى عبيد المعموري، نهج البلاغة جمعاً وتحقيقاً في ضوء النقد الثقافي. المركز الثقافي للطباعة والنشر، بابل، العراق، 2014م.
- 3 - إديث كروزيل، عصر البنيوية، ترجمة جابر عصفور، ط1، بيروت، لبنان، 1993م.
- 4 - بسام قطوس، المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، دار الوفاء لندنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط1، 2003م.
- 5 - بيير بورديو، الهيمنة الرمزية، ترجمة نظير جاهل، بيروت، لبنان، المركز الثقافي العربي، 1994م.
- 6 - حفناوي بوعلي، تحولات الخطاب الروائي الجزائري، آفاق التجديد ومذاهبات الفكر، دار الغرب، الجزائر، د.ط، 2004م.
- 7 - حفناوي بوعلي، مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن، الدار العربية للعلوم، بيروت، لبنان، ط1، 2007م.
- 8 - حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2009م.
- 9 - حامد النساخ سيد، بانوراما الرواية العربية الحديثة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د.ط، د.ت.

- 10 -جميلة حنيفي، الرواية الشعبية الجزائرية، جدل التراث والحداثة، دار ومضة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2021م.
- 11 -جابر عصفور، عصر البنيوية ، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان ،ط1، 1993 م.
- 12 -رمضان قلنصوة صلاح، تمارين في النقد الثقافي، ميرت للنشر والمعلومات، القاهرة، ط1، 2007م.
- 13 -زهور كرام، الكتابة النسوية في المغرب العربي، المركز الثقافي العربي، المغرب الأقصى، د.ط، 2004م.
- 14 -سعيد بنكراد، سيميائيات النص، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب الأقصى، ط.ع، 2007م.
- 15 -سعيد سمير حجازي، النقد العربي وأوهام رواد الحداثة، مؤسسة طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2005م.
- 16 -سعدى أبو زيد نواري،الدليل النظري في علم الدلالة، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط.ع، 2007م.
- 17 -عبد الله الغدامي، النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان، 1992م.
- 18 -عبد الله الغدامي، المرأة واللغة، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2000م.
- 19 -عبد الله الغدامي، عبد النبي إصطيف، نقد ثقافي أم نقد أدبي، الدار البيضاء، المغرب، ط.و، 2016م.
- 20 -عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة، من البنيوية إلى التفكيك، عالم المعرفة، الكويت، د.ط.دت

- 21 - عبد الحميد بورايو، الرواية الشفوية في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 2006م.
- 22 - عبد القادر بن زيدان، الرواية الجزائرية وسؤال الهوية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط2، 2012م.
- 23 - علي نجيب إبراهيم، جماليات الرواية، دار الحوار، دمشق سوريا، د.ط ، 1987م.
- 24 - عمر بن قنينة، في الأدب الجزائري الحديث، تاريخًا وأنواعًا وقضايا وأعلامًا، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط.ع، 2009م.
- 25 - فاتن محمد الشريف، الثقافة والفلكلور، دار الوفاء، الإسكندرية، مصر ، ط1، 2016م.
- 26 - محمد الجوهري، علم الفلكلور، دراسات في الأنثروبولوجيا الثقافية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط2، 1988م.
- 27 - محمد بوعزة، سرديات ثقافية، منشورات الاختلاف، الرباط، المغرب، ط1، 2014م.
- 28 - محمد مفتاح، التشابه والاختلاف، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، دط، 1996م.
- 29 - محمد مصايف، النشر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط، 1983م.
- 30 - منصور قيسومة، اتجاهات الرواية العربية الحديثة، الدار التونسية للكتاب، تونس، د.ط، 2013م.
- 31 - ماثيو أرنولد، الثقافة والفوضى، مطبعة جامعة كامبريدج، لندن، د.ط، 1932م.
- 32 - ميكيل توماسون، نظرية الثقافة، ترجمة علي سيد الصاري، عالم المعرفة، الكويت، 1997م.
- 33 - نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، دراسة معجمية، دار الكتاب العالمي، عمان، الأردن، ط1، 2009م.

34 -واسيني الأعرج، اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط، 1988م.

35 -عمر أحمد منور. أدب جزائري بلسان فرنسي: نشأته وتطوره وقضاياها. ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ط، 2007م.

36 -رامي أبو شهاب، مفهوم النسق الثقافي، الممارسة والمظاهر والتشخيص النقدي. مجلة القدس العربي، دمشق، سوريا، 5 يوليو 2016م.

37 -شوكت الربيعي، الفن التشكيلي المعاصر في الوطن العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 1985م.

38 -مرسيا إلبا، المقدس والمدنس، ترجمة عبد الهادي عباس، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 1988م.

39 -رفيق جيب، في فقه الحضارة العربية الإسلامية، إحياء التقاليد العربية، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، د.ط، 2003م.

40 -زيدان عبد القادر، الرواية الجزائرية وسؤال الهوية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط2، 2012م.

ثالثا المعاجم:

1. أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، لبنان، مجلد 4، 1985م.
2. ابن منظور، لسان العرب، تحقيق جمال الدين مكرم، دار صادر، بيروت، مجلد 6، 1989م.
3. الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2003م.
4. فتحي إبراهيم، معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، المتحدين، تونس، د.ط، 1938م.
5. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، باب الناء، مكتبة تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، مجلد 3، 2005م.
6. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، بيروت، لبنان، 2005م.

رابعًا: المجلات والدوريات:

- 1 .مجلة البحوث والدراسات الاجتماعية، عدد 2، جامعة الوادي، الجزائر، نوفمبر 2013م.
- 2 .مجلة غرداية، دورية، دار النشر للطباعة والتوزيع، جامعة غرداية، الجزائر، المجلد 44، العدد 2، 19 جوان 2019م.
- 3 . مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، العراق، العدد 4، 2015م.
- 4 .مجلة الممارسات اللغوية، ديوان المطبوعات للنشر والتوزيع، العدد 1، ط2، 2020م.
- 5 .مجلة عصور، العددان 34 و35، 2017م.
- 6 .مجلة إشكالات في اللغة والأدب، جامعة تمنراست، مجلد 9، العدد 3، 2020م.
- 8 .، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، مجلد 27، عدد 2، بابل، العراق، 2019م

خامسا : الرسائل الجامعية:

- 1 .مذكرة ماستر، قسم الأدب العربي، جامعة محمد البشير الإبراهيمي، برج بوعريريج، الجزائر، 2022/2021م.

سادسا : المواقع الالكترونية:

1. المنصة الثقافية www.culture.gat : اطلع عليه بتاريخ 2025/05/08 على الساعة: 17:15
2. منصة أريد www.portal.arid.my : السيرة الذاتية لأحمد زغب، اطلع عليه بتاريخ 2025/04/27 على الساعة: 17:30
3. منصة أريد www.portal.arid.my : اطلع عليه بتاريخ 2025/04/27 على الساعة: 18:05
4. منصة من هم https://manhom.com/company_category منصة الحضور العربي، إحدى منصات مجرة ، اطلع عليه بتاريخ 2025/04/28 على الساعة: 21:00
5. منصة من هم https://manhom.com/company_category، اطلع عليه بتاريخ 2025/04/28 على الساعة: 21:10
6. منصة من هم، https://manhom.com/company_category اطلع عليه بتاريخ 2025/04/28 على الساعة: 21:30
7. منصة من هم، https://manhom.com/company_category اطلع عليه بتاريخ 2025/04/28 على الساعة: 21:45

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الصفحة	العنوان
	شكر و عرفان
	الإهداء
أ - د	مقدمة.....
	الفصل الأول - الدراسة النظرية -
	I. الأنساق الثقافية قراءة مفاهيمية:
	1- مفهوم النسق
11	أ. لغة
12	ب . اصطلاحا.....
	2 مفهوم الثقافة
14	أ. لغة
14	ب . اصطلاحا.....
15	3 مفهوم الأنساق الثقافية
18	4 سمات الأنساق الثقافية.....
20	5 شروط الأنساق الثقافية.....
	6 أنواع الأنساق الثقافية
22	أ . النسق الظاهر.....
23	ب . النسق المضمّر.....
24	7 الأنساق عند الغرب.....
26	8 الأنساق عند العرب.....

II - الرواية وإشكالية المصطلح:

1- مفهوم الرواية

- 28 أ . لغة
- 29 ب . اصطلاحا
- 30 2 نشأة الرواية
- 34 3 خصائص الرواية
- 35 4 تفاعل الرواية الجزائرية مع الأنساق الثقافية
- 36 أ . النسق الاستعماري ومقاومته
- 36 ب . النسق الديني والتقليدي
- 37 ج . النسق الذكوري والنسوي
- 38 د . النسق الشعبي والأسطوري
- 39 هـ . النسق اللغوي والثقافي

الفصل الثاني - الدراسة التطبيقية -

الأنساق الثقافية في رواية ليلة هروب فجرة لأحمد زغب

- 42 1 تمهيد
- 43 2 التعريف بالكاتب
- 45 3 ملخص الرواية
- 48 4 الأنساق الثقافية في الرواية
- 49 أ . فضاءات العنوان
- 53 ب . نسق المكان
- 54 - المدينة
- 55 - القرية
- 56 - البادية

58	السوق
59	البيوت
60	المسجد
62	الخيمة
64	المستشفى
66	ج . نسق الزمان
68	د . العادات والتقاليد
71	هـ . حضور التراث الشعبي في الرواية
72	-	اللباس الشعبي
73	-	الطبخ الشعبي
74	-	الأدوات و الأواني الفخارية
75	-	الموسيقى و الشعر الشعبي
78	و . النسق الديني
81	ز . النسق الاجتماعي
84	ح . نسق الحب في الرواية
87	ط . نسق الولاء والرفض
90	ي . باقي النسق المقيد — فجرة النسق الحر
94	خاتمة
99	الملاحق
103	قائمة المصادر والمراجع
112	فهرس الموضوعات
116	الملخص بالعربية والانجليزية



الملخص

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز الأنساق الثقافية في الرواية ، ومن خلالها تطرقنا إلى رواية (ليلة هروب فجرة) للكاتب أحمد زغب ، التي كانت زاخرة بالأنساق الثقافية، فكان عنوان بحثنا الأنساق الثقافية في رواية ليلة هروب فجرة لأحمد زغب ، ومن أجل تحقيق هذا الهدف، قسمنا عملنا البحثي إلى فصلين: نظري وتطبيقي حيث تناولنا في الفصل النظري الأنساق الثقافية كقراءة مفاهيمية إضافة إلى إشكالية مصطلح الرواية ، وتفاعلها مع الأنساق الثقافية ، أما الفصل الثاني فقد عالجتنا فيه مختلف الأنساق الثقافية الموجودة في الرواية ،وقمنا باستخراجها مع إعطاء أمثلة داعمة من الرواية. وقد توصلنا إلى نتائج حول هذه الدراسة ، إلى أن الكاتب أحمد زغب عالجت هذه الأنساق بلغة سردية، مشبعة بالرمزية والدلالة الثقافية، فقد وظف الأنساق الثقافية بطريقة مشوقة، فليلة هروب فجرة هي الليلة الهاربة من ليالي ألف ليلة وليلة، وقد أن لها العودة والانكشاف بأسلوب روائي مميز ، وبلغة بسيطة حاملة بساطة من تحكي عنهم وتسرد آمالهم، وزمن لا تختلف أحداثه عن حياة العرب قديماً من حيث الكرم والشهامة والنبيل والذوق والإبداع ، فهنيئاً لأحمد زغب هذا الإنجاز المميز، آمليين له دوام التألق والتوفيق في مشواره الروائي.

Summary:

This study aims to highlight the cultural patterns in the novel, focusing on Laylat Hurub Fajrah (The Night of Fajrah's Escape) by the writer Ahmed Zaghab, which is rich in cultural patterns. Accordingly, the title of our research is Cultural Patterns in the Novel Laylat Hurub Fajrah by Ahmed Zaghab. To achieve this objective, our research work was divided into two chapters: theoretical and practical.

In the theoretical chapter, we explored the concept of cultural patterns and addressed the problematic nature of the term "novel" and its interaction with cultural patterns. The second chapter dealt with the various cultural patterns found in the novel, which we identified and supported with examples from the text.

Our findings indicate that Ahmed Zaghab approached these patterns with a narrative style filled with symbolism and cultural significance. He employed cultural patterns in a captivating way—Laylat Hurub Fajrah is the night that escaped from the tales of One Thousand and One Nights, and it is time for it to return and be revealed in a distinctive narrative style. The language used is simple, reflecting the simplicity of those whose stories it tells, Along with their hopes and dreams. The events depicted bear a strong resemblance to the lives of Arabs in the past, in terms of generosity, nobility, elegance, and creativity.

We congratulate Ahmed Zaghab on this remarkable achievement and wish him continued brilliance and success in his literary journey.